مجموعة قصصية

العفريت

وقِصَصٌ أُخْرَى

أوس الإرياني

٢٠٢١م

سلطان ميديا
للنشر والانتاج الفني

الغريب

وقِصَصٌ أُخْرَىٰ مُتَنَوِّعَةٌ

الطبعة الأولى 2021م

أوس مطهّر الارياني

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة، تصويرية، أو إلكترونية، أو ميكانيكية، لا تتحمل دار النشر أي مسؤولية عن الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب.

سلاف ميديا للنشر والإنتاج الفني

الجمهورية اليمنية

بريد إلكتروني: info@sulafmedia.com

موقع إلكتروني: www.sulafmedia.com

فيسبوك: fb.com/sulafmediacom

الفهرس

الفهرس ٣
إهداء ٥
شكر ٦
العفريت ٧
الكلاسيكيون ١٧
الذلّ ٢٣
نهاية أخرى للمتربّي ٢٩
طيف ٣٧
رعب ٤١
الشاطر (حسن) ٤٧
العاشق الصامت ٥٣
على هامان ٦١
أغنية ٦٧
قضاء وقمر ٧١
تاكسي (كازانوفا) ٧٩
حديث النجوم ٨٧
شخير ٩١
غارق في حبره ٩٤
إلا (مختار) ٩٧

منحوس..... ١٠١
جوع..... ١١١
جمهورية أفلاطون ١١٥
ثيروس ١٢٣

إهداء

إليها

شكر

إلى كلِّ من أسدى إليَّ نصيحة، أو أرشدني إلى خطأ، وأخصُّ منهم الروائي الكبير الأستاذ وجدي الأهدل، والأخوة الأعزاء في نادي القصة اليمني (إل مقه) وعلى رأسهم الروائي الأستاذ محمد الغربي عمران، والشاعر الأستاذ زياد القحم.

ولا أنسى الأخوة أكرم الملصي، وفؤاد الشرجبي، وعبدالملك الفهيدي، وسامي الحبسي، وعماد الدين الشريف على تشجيعهم الدائم.

(١)

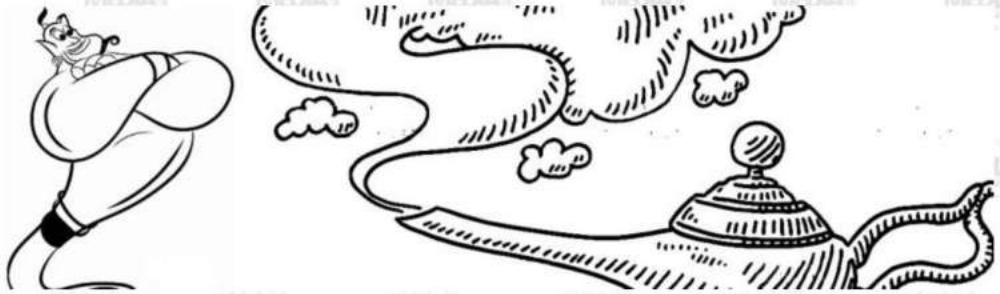

العفريت

أقفل (طويس) باب غرفته عليه، وعلّق (اليَلَق)[١] الأسود الذي اعتاد أن يرتديَهُ على المشجب الخشبي المصنوع من خشب الأبنوس، ووقف مواجهاً للمرآة الصغيرة متأملاً رأسه الأصلع، وسكسوكته المشذّبة بعناية، وفكّرَ في نفسه كيف أنّ جميع أقرانه يتجنّبونه بسبب مظهره الموحي بالشرّ رغم طيبته التي يعرفها عنه أصدقاؤُهُ المقرّبون، طيبته الزائدة التي طالما أوقعته في المشاكل، لكنّ الجميع تعوّد أن يحكم على من يراه من خلال شكله ومظهره لا من خلال تعامله.

[١] اليلق: الصديري.

في الفترة الأخيرة عانى كثيراً من الوحدة. لم يعد أحدٌ يجالسه، فالجميع مشغولون بأسرهم، وعائلاتهم، وحياتهم الخاصة. تجاوزه قطار الزواج وضيّع فرصته الأخيرة في اللحاق به في محطته الأخيرة فهو لم يستطع أن ينسى حبَّهُ الأول الذي لا يزال محتلّاً لقلبه طارداً أي حبيبٍ آخر يحاول أن يحطّ رحاله في قلبه.

لم يَعُدْ لحياته معنىً ولا يظنُّ أنّ رحيله سيزعجُ أحداً، أو أن أحداً سيذرفُ عليه أكثر من دمعتين فرضهما الواجب. فكّر كثيراً في إنهاء حياته بيديه إلا أنه تراجع عن ذلك لا حُبّاً في الحياة، ولا لأسبابٍ دينية تحرّم الانتحار، ولا لخوفه من التجربة، ولكن لسببٍ واحدٍ ظلَّ يلحُّ عليه، ماذا سيكون ردّ فعلِ من عرفوه بعد أن يموت؟ ما أثرُ موتِهِ على أصدقائه ومعارفه؟ كيف له أن يعرفَ إجابات تلك الأسئلة؟

تذكَّر فيلماً حيث يفكّر بطل الفيلم في الانتحار بعد صدمة عاطفية، ولمّا كان جبانا ولا يقوى على قتل نفسه فقد استعان بقاتل مأجور، إلا أن هذا القاتل المأجور أقنعه بأن يوحي للجميع بموته، ويراقب من بعيد ماذا سيحدث بعد أن يظنّ أهله، وأقرباؤه، وأصدقاؤه أنه قد رحل، فيعرف من كان يتظاهر بحبّه، ومن كان يحبّه فعلاً. نعم هو يحتاج لشيء مثل هذا.

أعجبته الفكرة، وظلّت تدور في عقله لأيامٍ، وأيام، حتى كان يومٌ قرأ فيه عن كتاب (شمس المعارف)، وأحسَّ أنّه وجد ضالته في هذا الكتاب. لمَ لا؟ عن طريق هذا الكتاب يستطيع تحقيق غايته، لكن كيف يحصل عليه، قرأ في الإنترنت أن معظم الكتب المتداولة هي نسخ مزوّرة لا تجدي نفعاً، لذلك كان همُّهُ أن يحصل على نسخةٍ حقيقيةٍ، ولو صرف على ذلك كلَّ مدخراته، استعان بصديق فهلويٍّ اسمه (صبيح) لطالما استعان به عندما يعجز عن فعل شيء ما، كانت حوله شبهات عديدة، فمنهم من يقول عنه أنّه يعمل في نشاطات مشبوهة، ومنهم من يقول أنّه "مُخَاوٍ"، وله علاقة بأمور "السحر"، ومن هنا قرّر الاستعانة به بعد أن أغراه بمبلغٍ كبيرٍ من المال أسال لعابه.

وكان بالفعل جديراً بهذه المهمة، فلم يمضِ أسبوعٌ منذ طلب منه أن يحضرَ له الكتاب حتى كان بين يديه، (سلّم واستلم) هكذا يتعامل مع زبائنه، وهكذا استلم منه المبلغ المتفق عليه، وسلّمه الكتاب.

تأمّل الكتاب برهبة، كتابٌ من الجلد القديم المحروق من أطرافه، جُمِعَتْ أوراقُه إلى بعضها بخيوطٍ من جلدٍ منظرها منفّر توحي كما لو أنّها مصنوعة من جلد إنسان، وأمّا الكتابة على الكتاب فكانت بلونٍ أحمرَ قانٍ وكأنها مكتوبة بالدم لا بالحبر، ارتعش جسده وألجم عقله المندفع عن الخوض أكثر في هذه الأفكار وانصرف عنها بتجهيز المكان لما ينوي عمله.

نعم. سوف يحضّر مارداً أو جنّياً أو أيّاً ما كان اسمه، ليخفيَهُ عن الأنظار وينقله من مكان إلى آخر ليرى ردَّ فعل أصحابه وأصدقائه على خبر موته، إنَّه على يقين أن خبر موته سيسعدُ (حليماً) الذي سيجدها فرصة ذهبية ليستوليَ على مقعده في المقهى الذي اعتاد أن يرتادَهُ، وأن (عبدالرحمن) سيحزن على فقده لا لشيء إلا لأنَّه لن يجدَ من يناكفه، وسيحزن (مرجان) على خسارة الأوراق النقدية التي كان يعطيها له (طويس) بين الحين والآخر، أما (الفندم صالح) الذي اعتاد أن يُحضره إلى القسم أثناء مناوبته الليلية فسيحزن على فقد تسليته الوحيدة برؤية نظرة الخوف في عينيه.

لن يحزن عليه إلا أصدقاؤه المقرّبون، (مالك) و(كارم) و(سام) و(إياد)، سيذرفون عليه بعض الدموع ويحزنون عليه متأثرين برحيله لكنّهم سرعان ما سينسونه ليعودوا لمناقشة الوقت المناسب للذهاب إلى النادي، هل الوقت الأنسب هو الصباح أم العصر أم المساء، ويستمرون في لعب "المونوبولي".

وحدها (مرجانة) ستبكيه إلى الأبد، ولن تنساه أبداً، ستشغلها الحياة بأحداثها فتنساه مؤقتاً إلا أنها سرعان ما ستتذكّره عندما تختلي بنفسها، أو يقع بصرها على القلادة المعلقة على صدرها والتي أهداها إياها في أحد أعياد الحب، ستبكيه حتى تنتهي دموعها أو تحبَّ غيره.

جهّز المكان فَرَشَّ الملح في منتصف الغرفة على شكل دائرة كبيرة، ورسم بذراته داخل الدائرة نجمة خماسية، ووضع في كل رأسٍ من رؤوس النجمة الخمسة شمعة، وأشعل البخور الجاوي في مبخرة كبيرة ليبدأ دخان البخور يغطي الغرفة شيئاً فشيئاً، وأطفأ ضوء الغرفة وشرع في إشعال الشمع.

أشعل عود الثقاب الأول وقرَّبَ يدَهُ المرتجفة من الشمعة الأولى، فأشعلها وهو يتذكّر يوم مولده الذي اكتسب اسمه منه وممّا حدث فيه، فيوم مولده غاب والده (ميمون) عن الحيِّ، ذهب إلى عمله في الصباح، ولم يعد منه حتى اليوم، انتظرته (زعفرانة) زوجته بقلقٍ بالغ، إلا أنَّه تأخر كثيراً ليلتها، وفي آخر الليل شعرت بآلام المخاض، فصرخت في ألمٍ، ولم يكن هناك غيرها في البيت، وظلّت تصرخ حتى سمعها أحد الجيران، وجلب لها الداية التي قامت بتوليدها بمشقة كبيرة حيث لم يكن رأس المولود إلى الأسفل كما يجب عليه أن يكون، ولمّا نظرت في وجه مولودها قالت له: "لقد جئت في يومٍ فقدت فيه أباك فلذلك سيكون اسمك (طويس)" وكانت العرب تقول في أمثالها: "أشْأَمُ من طُويس"، ومن هنا كان اسمُهُ.

قضت (زعفرانة) ما يقارب الثلاثة أشهر بعد الولادة على سرير المرض، لم تقوَ على أن تعود إلى حياتها الطبيعية إلا في الشهر الرابع.

عاد (طويس) وأشعل عودَ ثقابٍ ثانياً، وقرَّبه من الشمعة الثانية، وتأمل فتيلها اليابس وهو يشتعلُ رويداً رويداً، وغرق من جديد في بحر الذكريات، تذكَّر طفولته البائسة في المدرسة الابتدائية حيث اعتاد الأطفالُ أن يعايروه بتسميته "ابن زعفرانة"، وأثَّر ذلك في دراسته، وكان أساتذته يشتكون دائماً من إهماله وعدم تركيزه، حتّى أنّه سمع يوماً ما أحد أساتذته يهمس لوالدته ناصحاً أن تخرج ابنها من المدرسة وتبحث له عن عملٍ، وذلك ما كان.

بدا على وجهه الضيق من هذه الذكريات التي عادت إلى ذهنه بسبب جوّ العتمة، والشموع والبخور الجاوي، أخرج عود الثقاب وأشعل به الشمعة الثالثة، وهو يتذكّر فترة المراهقة بعد أن خرج من المدرسة وعمل مع (العم زكريا) جارهم الذي يملك محلاً لبيع العقيق، والذي علَّمَهُ كلّ ما يتعلّق بالعقيق، وتولّى رعايته بعد أن توفّيَت والدته، وأسكنه في غرفة على سطح بيته، وكان خليطاً عجيباً أخذ منه وقتاً طويلاً حتى يفهمه، فهو يبدو قاسياً فظّاً غليظ القلب في ما يتعلّق بالعمل، لكنّه يتحوّل إلى إنسانٍ في غاية الطيبة والحنان ما أن تخطوَ رجله خارج ورشة العقيق.

وفي يومٍ من الأيّام أوصَلَ الخبز إلى بيت (العم زكريا) كعادته، ففتحت له (مرجانة) محبوبته وابنة (العم زكريا)، وكانت هذه اللحظات القليلة

أسعد لحظات يومه، فهو يتبادل فيها أحاديث المراهقين البريئة معها، وفي ذلك اليوم كان قد جهّز قلادة صغيرة بفصٍّ من العقيق وضع فيها صورته معها حين خرجوا يوماً إلى الحديقة الكبيرة، وعندما فتحت له الباب، سلّمها الخبز، وقبل أن تقفل الباب استوقفها، وأهداها القلادة طابعاً قبلة رقيقة على أناملها بمناسبة عيد الحبّ الذي صادف ذلك اليوم، إلا أنّ سوء حظّه جعل (كهرمانة) أمّها ترى ما حدث فما كان منها إلا أن طردته وضربت ابنتها ضرباً مبرحاً وحكت لزوجها ما حدث، فما كان منه إلا أن طرده من العمل ومن السكن، لسبب لم يعرفه في حينه، كان ردٌّ فعله أكبر من اللازم.

أشعل الشمعة الرابعة بيدٍ راجفة والدموع تتساقط من عينيه تحت هذا الكمّ الكبير من الذكريات الأليمة، وعاد ليتذكّر كيف قضى أيّامه بعد أن طُرِدَ، وفقد عمله ومسكنه في آنٍ واحد، فقضى أياماً قاسية نام خلالها في الشارع، ووصل به الأمر إلى أن يأكل من الأكل المرميّ في القمامة، إلى أن وجدَ عملاً في محلٍّ لبيع العقيق في الحيّ المجاور، واتفق معه صاحب العمل على أن يعملَ عنده في مقابل أكله وسكنه في الورشة بعد إغلاقها، كان بالطبع اتفاقاً مجحفاً إلا أنه اضطر إلى أن يوافق عليه.

أشعل عودَ ثقابٍ آخرَ ليقرّبه من الشمعة الخامسة والأخيرة وهو يتذكّر (العم زكريا) الذي زاره في مكان عمله الجديد وأوصى به صاحبَ محلّ

العقيق خيراً، فهو يعرفه جيداً بحكم أنهما زميلا مهنة واحدة، ثمّ انتحى به جانباً ليخبره بطيبة بدت له في حينها منتهى القسوة أنّ (مرجانة) ليست إلا اخته بالرضاعة، فقد قامت (كهرمانة) بالعناية بـ(زعفرانة) طيلة الشهور الثلاثة التي رقدت فيها على فراش المرض بعد الولادة، وأنها قامت بإرضاعه طيلة هذه الفترة وما تلاها أيضاً.

اسودَّت الدّنيا في عينيه ولم تقوَ رجلاه على حمله فجلس على الكرسي، وترقرقت عيناه بالدموع ورأى بصورة ضبابية من خلال دموعه (العم زكريا) وهو يغادر المكان، وعرف بأنَّ لا سبيل له للارتباط بحبيبة قلبه، وانقطع آخر أسبابه بالحياة.

أكمل إشعال الشموع الخمس، وحمل كتاب (شمس المعارف) واتجه إلى منتصف النجمة التي رسمها بالملح، وجلس القرفصاء، وفتح الكتاب استعداداً لقراءة التعاويذ اللازمة، وقبل أن ينبس ببنت شفة، سمع صوتاً بعيداً يهتف:

"أقسمت عليك (طويس بن ميمون) بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الرحمن الرحيم رب جبرائيل و ميكائيل اهٍ اهٍ اهٍ اهٍ اهيا شراهيا اهيا هاهيا نماهيا أدوناي أصباؤتٍ الٍ شداي شلعجصٍ شليقوشٍ طمطكشٍ ططكليوشٍ مهلوشخٍ بهمشٍ هميوشٍ يشهيثٍ شناهشٍ مرطلطكيوشٍ نافهلمٍ غيوتا نافلا ثاوهٍ ثاوثٍ ما أعظم هذا

الكلام ما اعظم سلطان الله سلطان الله أحترق من عصي أسماء الله بالنار الموقدة أصعقوا بهم الرجيف والفزع الشديد والروع العظيم والعذاب الأليم أطع وأسمع وأجيب وأسرع بحق ما أقسمت به عليك وأنه قسم لو تعلمون عظيم"

أحسّ (طويس) أنّ جسمه قد أصبح خفيفاً وارتفع عن الأرض بمسافة تسمح بمرور قطّةٍ من تحته، وازداد إظلام الغرفة من حوله، وانفتحت طاقة من النور في الأعلى، وانسحب جسمه رويداً رويداً إلى طاقة النور، وفجأة خرج من هذه الطاقة إلى مكانٍ رحبٍ كأنّه يخرج من عنق زجاجة، فوجد أمامه رجلاً يجلس في غرفة مظلمةٍ في منتصف الدائرة، ونجمة خماسية في كل رأس منها شمعة، ووجد نفسه يعقد يديه على صدره ويهتف قائلاً:

"شبّيك لبّيك.. عبدك بين إيديك"

وكما فعل والده (ميمون) من قبل لم يعد (طويس) من يومها إلى أهله وأصدقائه..

(٢)

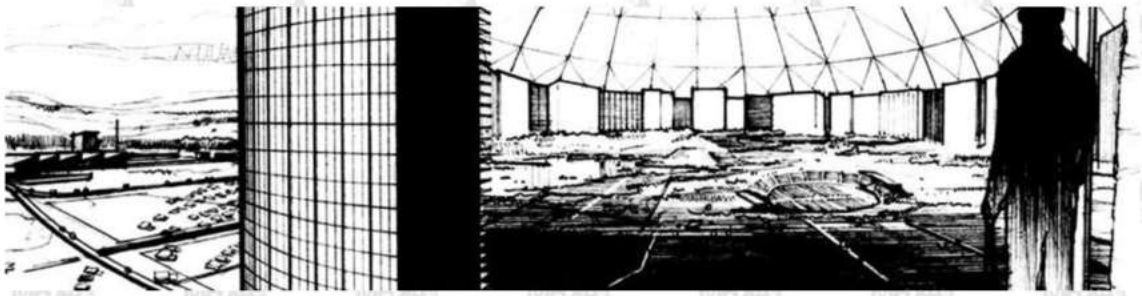

الكلاسيكيون

فتح (أدهم) عينيه مفعماً بالطاقة، ونظر إلى سقف الغرفة المليء بالمعلومات، الساعة الثامنة من صباح يومٍ مميز، الحادي والثلاثين من ديسمبر من العام ٢١٠٠م. إنّه اليوم الأخير من القرن الحادي والعشرين، وفي نهاية هذا اليوم يبدأ القرن الثاني والعشرين.

جهّز نفسه لسهرة مميزة يقضيها مع زوجته (حياة)، وقد أعد العدة ليفاتحها في الموضوع الذي سيطر على تفكيره في الفترة الأخيرة، وشغل باله، فعلى الرغم من مرور تسع سنوات على زواجهما، إلا أنها ترفض بشدة تبنّي طفلٍ، وقد قرر أن يحسم هذا الأمر في سهرة الليلة.

أكمل قراءة البيانات على سقف الغرفة وهو لا يزال مستلقياً، حركة الانتقال الآني ستكون مزدحمة صباحاً بسبب التجهيز لحفل (رأس السنة) بل نستطيع أن نقول (رأس القرن). إنّه حدثٌ مميّزٌ بالفعل، وأكثر سكان الكوكب حجزوا كبسولات فضائية لقضاء هذا اليوم المميز، إلا أن (أدهم) المعروف بـ(كلاسيكيته) كان يُحَضَّرُ لحفلٍ من نوعٍ آخر.

أغمض عينيه وهمس قائلاً: (H709)، وعلى الفور ظهرت أمامه صورة سيّدةٍ سمراءَ كبيرة في السنّ ذات شعرٍ أسود: "نعم. سيدي"، قال لها: "جهزي الفطور"، ردت: "حاضر سيدي" واختفت الصورة من فضاء الغرفة.

عاد إلى أفكاره، وتذكر أن عليه اليوم في الساعة التاسعة مساءً أن يستمع للحفل الخطابي الذي سيتحدث فيه رئيس كوكب الأرض، لا يعرف ما الفائدة من أن يستمع الناس في الكوكب كاملاً إلى شخص يتخاطب مع عقولهم عبر جهاز التخاطر العقلي (التلباثي) لأكثر من ساعة ليمنَّ عليهم بإنجازاته، وكأنه يفعل ما يفعل من باب التضحية أو الإحسان، وليس لأنه يتقاضى راتبه في مقابل ما يفعله.

استدار إلى زوجته النائمة بجانبه، وهمس في أذنها: "اصحي يا حبيبتي.. الفطور جاهز". فتحت عينيها، وارتسمت على شفتيها بسمة طفولية عذبة وهي تتذكر أنها ستقضي ليلة مميزة معه احتفالاً بحلول

القرن الجديد. عانقته بدلال قائلة: "ألن تفصح عن المفاجأة التي تحضرها لي في هذه الليلة"، ابتسم بدوره قائلاً: "ومن قال أن هناك مفاجأة؟!" ضحكت بصوتٍ عالٍ: "لم تستطع أن تخفي عني شيئاً من قبل فهل تظن أنك ستفعل اليوم؟". نزل من السرير الهوائي وهي لا تزال تعانقه، وحملها بين ذراعيه، واتجه إلى دائرة الانتقال الآني، وقال بصوت خفيض: "إلى غرفة السفرة".

وفي غرفة السفرة كانت (H709) قد جهزت الإفطار، المكون عادة من حبوب الطاقة إلا أن (الكلاسيكيين) من أمثال (أدهم) يتناولونها مغلفة بأغشية تجعلها على شكل بيض، أو جبن، أو خبز، فـ(الكلاسيكيون) يتزعمون حركة احتجاج على كثير من الاختراعات الحديثة التي يحمّلونها مسؤولية ما حصل في الماضي القريب، بعد نشوب الحرب العالمية الثالثة، التي تلتها ببضع سنين الحرب العالمية الرابعة والتي أُلغيت من بعدها الدول جميعها وانصهرت تحت حكمٍ شموليٍّ واحد.

قام من مقعده بعد تناول الإفطار وعانق زوجته مودعاً، وقال لها: "جهزي سماعات جهاز التلباثي حتى نسمع الخطاب، لا أريد أن أُغضب جهاز الأمن"، سألته: "إلى أين ستذهب؟" أجابها: "عملٌ أخّرتُهُ كثيراً سأقوم به اليوم بالتزامن مع بداية القرن الجديد" وأردف مبتسماً: "ولا تسألي عنه كثيراً وإلا أفسدتِ المفاجأة". ردت عليه: "المفاجأة التي تصر على إنكارها". أجاب بخبث: "مهما تغير العالم لن تتغير النساء".

وذهب إلى دائرة الانتقال الآني مغادراً المنزل، ولم ينسَ أن يحجب معلومات رحلته حتى لا تستطيع معرفة المكان الذي ذهب إليه، فيقتلها فضولها الأنثوي.

غاب معظم اليوم عن المنزل، ثم اتصل بزوجته أنه سوف يحضر إلى المنزل في الثامنة والنصف مساءً وأن ضيفاً سيرافقه إلى المنزل، وبالفعل في الثامنة والنصف مساءً دوى صوت جهاز الانتقال الآني في البيت معلناً عودته برفقة شخص آخر.. أسرعت لاستقبال زوجها، وتفاجأت عندما رأته، ومعه ولدٌ صغير لا يتجاوز السابعة من عمره. تسمرت في مكانها وسألت زوجها بصوت راجف: "من هذا؟". أجابها: "هذا (آدم) مفاجأتي التي حضرتها لكِ، لقد قررت تبني هذا الولد، وذهبت صباح اليوم إلى مركز التبنّي، وأدخلت المواصفات التي ذكرتيها لي في أحد الأيام والتي تتمنين أن تكون في ابننا، وقام المركز بوضعها في هذا الولد. أعلم أنكِ مترددة في اتخاذ هذا القرار وتحمّل مسؤولية تربية طفل، لكن الوقت قد آن لأساعدكِ في اتخاذ هذا القرار عبر وضعك أمام الأمر الواقع".

تجمّدت ولم تحرك ساكناً، وقالت بلهجة تقريرية: "أعتقد أنك قمت بالأمر المناسب". رد: "أعلم أن مشاعرنا الآلية لا تعرف البكاء، لكن هذا ما يميز البشر ففي لحظات كهذه تذرف عيونهم الدموع".. وفي هذه

اللحظات دخلت (H709) والدموع تسيل من عينيها، واستدار (أدهم) إليها قائلاً: "لقد اخترتك من بين البشر لسبب واحد.. هل تعلمين ما هو؟ أنك كنتِ قبل الحرب العالمية الرابعة أستاذة موسيقى. قد نكون نحن الآليين أكثر قدرة على الحفظ ومعالجة المعلومات، لكننا نفتقد المشاعر والإحساس، وإن كنا استطعنا أن نصنّع بعض التعابير مثل الابتسام والضحك إلا أنها شكلية، ومبرمجة وليست نابعة من أعماقنا. تعالي معي يا (H709)". ومضى معها إلى البدروم وفتحه ودلفا سوياً إلى البهو الكبير، وتفاجأت حين رأت أمامها ما لم تتخيل وجوده، كمية كبيرة ومتنوعة من الأسطوانات الموسيقية لأشهر الفنانين القدامى، وآلات موسيقية متعددة (بيانو – كمان – عود). أمسكها من كتفيها ونظر في عينيها وقال: "أرجو منك أن تعلّمي (آدم) العزف على هذه الآلات، واجعليه يستمع يومياً إلى هذه الأسطوانات، فالموسيقى هي الفارق الأساسي بين البشر والآلات، ولم تبدأ نهاية جنسكم البشري إلا حينما منعتم الموسيقى". أجابته بحماس: "حاضر سيدي" واتبعت ذلك بابتسامة حنونة: "سأعلمه الموسيقى".

وفي الساعة التالية جلس (أدهم) و(حياة) في الصالة يضعون سماعات جهاز التلباثي يستمعون إلى خطاب رئيس الكوكب في حين كان (آدم) يستمع إلى صوت أبوبكر سالم يغني: "انتهينا عاد نحنا الا بدينا..".

(٣)

الذلّ

انزوى (حكيم) في ناحية متطرفة من المخيم الذي أقامه الثوار في قمة (بلبل) شمال غرب مدينة (حلب)، وأخذ يفكر في الحال التي وصلوا إليها بعد أن سيطر التتار على المدينة، وقتلوا كل من يستطيع أن يحمل السلاح وتركوا الأطفال، وكبار السن، والعاجزين، وسبوا النساء وأبقوا على من تجاوزْنَ سنَّ الكهولة، ولم يستثنوا الصغيرات. لقد استطاع ومجموعة من الشباب الهرب إلى أطراف المدينة ليحتموا بالجبال المحيطة بها، ويشنوا بين الحين والآخر هجماتٍ خاطفةً على التتار غانمين بعض السلاح في كل مرة مما أدى لتجمع مخزونٍ لا بأس به، جعل منهم قوة يخشاها التتار.

كان ما يؤرقه هو الأسلوب الجديد الذي اتبعه التتار مؤخراً بعد أن منعوا دخول الغذاء إلى كامل المنطقة المحيطة بالجبال التي يختبئ فيها الثوار، فقطعوا بهذا عنهم المؤونة، وأثاروا ضدهم أهالي المنطقة الذين باتوا يعتبرون الثوار السبب في ما آلت إليه أحوالهم.

اقترب (عامر) منه، وتردّد في مقاطعة خلوته بنفسه، لكنه قرر أن يتحدث إليه بما يشغلُ بالَهُ، فاقترب منه وجلس بجانبه وقال:

- بماذا تفكر؟
- أفكر في الحال الذي وصلنا إليه، ومع مرور الوقت تتناقص مؤونتنا، ويزداد سخط الأهالي وأخشى أن يسلمونا للتتار، فما وصلنا من شأن أهل (بغداد) بعد أن دخلها التتار واضطروا للاختباء في أقبية المدينة، وبعد خروجهم منها هالهم حجم القتل والدمار في المدينة فذهل الأب عن بنيه، والأم عن بنيها كأنهم في يوم الحشر، وقد يرى الأهالي في تسليمنا للتتار نجاةً من موتٍ بشع.

ازداد وجوم(عامر) للتشبيه وغلبه الحزن، فقال:

- لا أظنّ أحداً من الأهالي سيفعل ذلك.

- بل سيفعل أحدهم ذلك حتماً، والسؤال الحقيقي هو متى، وليس هل سيفعل أحدهم ذلك؟
- لكننا نضحي بأنفسنا في سبيلهم!
- هذه رؤيتك للأمر، أما هم فقد يكون لهم وجهة نظر أخرى، أنت ما زلت شاباً يحركك عنفوان الشباب وحماسهم، أما أنا فقد داست عليّ السنين بأحداثها، فلم أعد أتفاجأ عندما أرى الأمور تمضي لغير ما توقعته، بل ألوم نفسي أني لم أرَ الأمور كما يفترض بي أن أراها.
- أعلم أن الحق ما قلته، لكني ما زلت لا أفهم كيف يمكن للإنسان أن يخون من يحاول الدفاع عنه مضحياً بنفسه من أجله.
- إن الإنسان يرى المصلحة القريبة لا البعيدة، وكثيرٌ من العامة لا يرون أبعدَ من أنوفهم.
- لكنّ الذل الذي سامه التتار لأهالي المدينة ستجعلهم بالتأكيد يقفون معنا.
- ما زلت تتحدث بحماسة الشباب الذي تنقصه الخبرة، إن الإنسان بما جُبل عليه من جُبن قد لا يصبر على القليل من الذل والقهر، لكنه يرضخ للكثير منه نتيجة الخوف من

ناحية، ومن ناحية أخرى نتيجة تراكمات الأحقاد ضد من حكموا قبل التتار، فلم يستمر حصار حلب إلا أياماً سبعة ودخلها التتار بعد أن استسلم أهلها، وفتحوا لهم بعد أن حنثوا بعهد الأمان، وبالرغم من هذا فإنهم مستعدون أن يسلمونا للتتار ليتجنبوا المزيد من الذل. لقد خذلوا أميرنا (توران شاه) الذي ظل يقاتل داخل القلعة بعد دخول التتار للمدينة لمدة وصلت إلى أربعة أسابيع. ولم يكن للتتار أن يصلوا إلينا لولا الخيانات التي كانت في كل مكان مروا به، ابتداء من طلب الخليفة العباسي من جنكيز خان الإطاحة بدولة خوارزم شاه، وضعف الخليفة المستعصم ولهوه ومجونه في وقت الحرب، وخيانة الملك الكامل الأيوبي، مروراً بين هذا، وذاك، وذاك، بخيانة ابن العلقمي الذي أصبح حديث الناس.

- لم أعد أرى بعد كلامك هذا مبعثاً للأمل، فهل نستسلم ونرضى بما صرنا إليه؟!
- لا أعرف كيف استنتجت مما قلت أن علينا أن نستسلم! إن معرفتك للظروف المحيطة بك، وتقييمك للأمور بعقلك لا بقلبك، ورؤيتك للأمور كما هي لا كما تتمناها، وإدراكك للأسباب التي جعلت عدوك ينتصر عليك، تجعلك تمتلك

مفاتيح النصر، فلن ينتصر على العدو من لم ينتصر على ضعفه، ولا ينتصر الإنسان على ضعفه وهو لا يدركه.

- وما الذي تراه أيها الحكيم (حكيم) حتى نتجاوز هذه الغمة التي حلت بنا؟

لم يجب مباشرة، وإنما صمت طويلاً مصارعاً مشاعرَ شتّى تعتمل داخله، ثم أجاب بصوت غلبته حشرجة الدموع:

- إن التتار لم يكونوا الأقوى بقدر ما كانوا الأذكى، فهزمونا بنا، واستغلوا خلافاتنا، وبذروا الذلّ في النفوس، فحصدوا النصر، قال الله تعالى: «قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ»، أما الحل فلن يكون إلا باستحضار العزة، ونبذ الخلافات، وستدرك النصر عندما تجد الجيوش تتحرك من مصر لتحرير الشام.

صمت (عامر) لبرهة متأملاً كلامه، وبعد أن طال صمته، وأدرك مدى صحة كلام قائده، وبُعد نظره، وعمق تحليله، اقترب منه ووضع يده على كتفه مربتاً، وقال بحزنٍ:

- صدقت أيها القائد في كل ما قلته.

لم يجبه (حكيم) وإنما مال جسده مع تربيتته، وسقط دون حراك.

(٤)

نهاية أخرى للمتربّي

مات الأسد (مسعّد) فاجتمعت الحيوانات في الغابة تتدارس الأمر. إن الشبل (مسعود) ما زال صغيراً، واللبوة (مسعدة) لا علاقة لها بشؤون الغابة، وكان الفقيد قد أوصى لابنه بالحكم تحت وصاية الظربان (هامور)، الذي كان أهل الغابة لكراهة رائحته يسمّونه تندّراً (أبا المسك).

اختلفت الحيوانات في الغابة، حول جواز أن يحكم (هامور) إلا أن أغلبية الحيوانات أصرّت أن يتم تنفيذ وصية الراحل كما هي، وخرج (حسن) عمّ (مسعود) من الاجتماع غاضباً، لأن أخاه أعد العدة بعد وفاته ليقطع عليه طريق الاستئثار بالحكم له ولأولاده من بعده.

تمّ الأمر لـ(مسعود) كما أراده له والده الراحل، وتمت مبايعته ملكاً للغابة، تحت وصاية الظربان الذي كان شديد الدهاء، واستفرد مع مرور الأيام بالحكم مجزلاً العطاء للشبل الغِرّ، وأبعده بالتدريج عن أمور الحكم ولم يقم بتهيئته كما أراد الفقيد، بل استغل مراهقته ليعطيه من المال ومن ملذات الدنيا ما يشغله عن الحكم، وظل الحال هكذا حتى صار شاباً، وصار الحكم من حقه، فبدأ يعدّ العدّة ليتسلّم الحكم، إلا أن الداهية ظل يراوغه، ووصل الأمر به إلى مواجهته فما كان من (مسعدة) عندما شعرت بأنه قد يؤذي ابنها إلا أن ضغطت على ابنها لينسى أمر الحكم، لكنّ (هامور) لم يهدأ له بال حتى توفي (مسعود)، وفي أحد الأيام خاطب الحاجب سيّده قائلاً:

- لقد وفقك الله إذ أزاح عن طريقك (مسعود).

فردّ (هامور) بخبث:

- ألم تسمع ما قاله أحد الحكماء قديماً: "إنّ لله جنوداً من عسل"؟
- نعم، سمعت! هل أدخل عليك الشعراء يا سيدي، إن من بينهم شاعراً جديداً يريد أن يمثل بين يديك.
- ما نوعه واسمه؟

- إنه ببغاء يدعى (المتربّي).
- اسم غريب.
- لقد سمّي كذلك لأنها تربى فترة من الزمن عند بشريٍّ، فهل أدخله مع بقية الشعراء.
- أدخلهم وإيّاه.

فتح باب الديوان لتدخل مجموعة من الشعراء، وجلسوا على صفين متقابلين على يمينه ويساره، إلا (المتربي) فقد ظل يخفق بجناحيه طائراً أمامه، فصرخ فيه:

- اجلس كغيرك من الشعراء.
- أنا لا أقول الشعر إلا طائراً، فإن أذنت لي أنشدتك شعري.
- أتمنى أن تكونَ جودة شعرك بقدر تطاولك وطول لسانك. أنشد.

نظر يميناً ويساراً للشعراء ولم يجد بينهم طائراً فقال:

كفى بك داءً أن تُكون مؤاثرا
لموتِكَ عن عيشٍ يذلّ المهاجرا
وما هجرةُ الأطيارِ إلا تسلّياً
عن الضعف في أشعار من ليس قادرا

فيـــــا قلـــــبُ لا تلـــــزم هـــــواه فـــــإنني
رأيتـــــك تصـــــفي الـــــودَّ مـــــن لـــــيس طـــــائرا
أتيتـــــكُ مـــــدّاحاً مبينـــــاً ومضـــــمراً
فصـــــيحاً بليغـــــاً في قصـــــيدي مفـــــاخرا
ومـــــا الشـــــعر إلا في الطيـــــور فمـــــن ســـــعى
ســـــواهم لشـــــعرٍ كـــــان في الشـــــعر قـــــاصرا
بـــــل الشـــــعر حقّـــــاً مـــــا أقـــــولُ وغـــــيرهُ
هـــــراءٌ فـــــدعْ عنـــــك الـــــذي جـــــاء آخـــــرا
وقـــــد زدت شـــــعري يـــــا أبـــــا المســـــك روعـــــةً
بـــــذكرَك حتـــــى صـــــار باســـــمكَ عـــــاطرا
فـــــإن قلـــــتُ شـــــعراً فيـــــك أصـــــبحتُ ســـــاحراً
وإن قلـــــتُ نثـــــراً فيـــــكَ أمســـــيتُ شـــــاعرا

أحسَّ (هامور) بأهمية ما قاله إلا أنَّهُ لم يشأ أن يغترَّ بنفسه، فقال في وقار ورزانة:

- لا بأس بما قلت، وقد منحتك الإذن أن تدخل مجلسي دون استئذان.

ومرّت الأيام وهو يشيد بمناقب (هامور) طمعاً في أن يولِّيَهُ دغلاً من أدغال الغابة، إلا أنه كان يجيد التهرب من قطع وعدٍ لشاعره الذي قال فيه القصائدَ تلو القصائد، وفي نهاية الأمر عزم على السفر، وطار بعيداً عن الغابة، ووقف فوق غصن شجرةٍ في أطراف الغابة، وأنشد:

عـــــودٌ بأيَّـــــةِ حـــــالٍ صرتَ يـــــا عـــــودُ
وقـــــد مضـــــى السُّـــــعْدُ، والتقـــــريح موجـــــودُ
أمـــــا الطيـــــورُ فقـــــد غطَّـــــت بأجنِحَـــــةٍ
عـــــلى الجـــــوانِحِ كي ينحـــــلَّ معقـــــودُ
فـــــالرزق يربطنـــــي، والشـــــوق يأخـــــذني
والوعـــــدُ يخـــــذلني، والحـــــلُّ محـــــدودُ
إنّي نزلـــــتُ بـــــ(ظربانٍ) بـــــلا شرفٍ
لا في الطيـــــورِ ولا الأنعـــــامِ معـــــدودُ
لا خـــــيرَ فيـــــهِ ولا في صـــــدقِهِ أَمَـــــلٌ
ولا قضـــــى منـــــه مـــــا يحتـــــاجُ موعـــــودُ
فكـــــلُّ أرضٍ لمـــــن ســـــيمَ الأذى رَحُبَـــــتْ
لأنَّ بـــــابَ العطـــــا المبـــــذولِ موصـــــودُ
وكـــــلُّ دربٍ إذا غابـــــت نهايتُـــــهُ
عـــــن ناظريـــــكَ فهـــــذا الـــــدربُ مســـــدودُ
فضـــــاق عيشـــــي بغـــــابٍ بـــــاتَ يحكمُهـــــا

ظربـــــــانُ شـــــــؤمٍ أطاعتْـــــــهُ الرعاديـــــــدُ

وحار وهو ما زال على الغصن، إلى أين يذهب، هل يعود إلى (ضيف الغابة) الذي أساء إليه واضطره إلى اللجوء لـ(هامور)؟ إنّه يميل إليه لكنّ كرامته لا تسمح له بالعودة إليه، لا حلَّ له إذاً إلا أن يعودَ شرقاً، وبالفعل توجه شرقاً متجاوزاً غاباتٍ وبلداناً إلى أن وصل إلى وجهته، وقضى فيها زمناً جمع فيه الكثير من المال، وعاد بعدها إلى البلد الذي ولد فيه، وفي الطريق قطع عليه الطريق نسرٌ كبير اسمه (سافك)، ناظراً إليه بنظرة حقدٍ وغلٍّ صارخاً:

- أتجرؤ أيها الطائر المدلل أن تهجو أختي وابنها.
- قلت ما قلت رحمةً لا محبة.
- والله لأنتفنَّ ريشك، ريشة ريشة أيها الطائر المأفون.

سنحت الفرصة له أن يهرب، وقد كاد لولا أن قال له مرافقه (مصلح):

- أتهرب وأنت القائل: الغيمُ والسُّحْبُ والأجواءُ تعرفني * والبِيْدُ والهَضْبُ والوديانُ والقِمَمُ

أسقط في جناحه، ولم يعرف ماذا يقول، وأطرق مفكراً ثم رفع رأسه إليه، وقال:

- قمة الشجاعة أن تظهر بمظهر الجبان لتنجوَ بنفسك، فأن تُعَيَّرَ بالجُبنِ وتعيش، خيرٌ لك من أن تُوصَفَ بالشَّجاعةِ وتموت، فإلقاؤك نفسك للتهلكة، مخالفة لأمر الله، ودليل غباءٍ لا شجاعة، وأنشد:

الـــــــرأي قبـــــــل شـــــــجاعة الشـــــــجعان
والعـــــــيشُ قصـــــــدُ الطَّـــــــيرِ والحيـــــــوانِ
فـــــاحفظْ حياتَـــــكَ مـــــا اســـــتطعْتَ ولا تَخَـــــفْ
مِـــــنْ سَـــــتْرِهَا حتَّـــــى بثـــــوبِ هَـــــوانِ
مـــــاتَ الشُّـــــجَاعُ ولم ينَـــــلْ مـــــن موتِـــــهِ
إلا المـــــديحَ، وفـــــازَ ألـــــفُ جَبَـــــانِ

وعاش (المتربي) بعد فراره عمراً مديداً، أسعد خلالها الطيور والحيوانات بأشعاره التي ملأت الدنيا، وشغلت الناس.

(٥)

طيف

"هل تريد فنجان قهوتك المعتاد يا أستاذ (عوض)؟"، قاطع (فيصل) شروده بهذا السؤال، فردّ عليه وهو يحاول أن يعود إلى ما كان يفكر فيه: "نعم، أرجوك".

اعتاد أن يجلس في هذا المقهى صباح كل يومٍ، لأن جوَّه الهادئ يساعده في كتابة قصصه التي أخذت تنال قسطاً لا بأس به من الرواج في الفترة الأخيرة، لكنه في هذا اليوم لم يكن شارداً في قصة جديدة بل كان يفكّر في (طيف). هو لا يعرف اسمها، وأطلق عليها هذا الاسم لأنه ما زال يشك في وجودها أساساً، وأخذ الاسم من قول أبي تمام: (نَمْ فما زارَكَ الخَيالُ ولكنـكَ بالفكر زُرتَ طيفَ الخَيال).. هي أجمل من أن تكون حقيقة، فهو رغم خجله الشديد، وطبيعته المتحفظة، قد قابل وجالس

نساء كثيراتٍ، إلا أن هذه كانت شيئاً مختلفاً جداً، كأنها إحدى أيقونات التاريخ القديم التـي تروى عنهم قصص الجمال، فيها ألق (بلقيس)، وحِدّةُ (هند)، وقوة (أروى)، وروعة (ليلى)، هي مزيج من كل هذا في هيئة يصعب على أحدٍ أن يتخيلها ما لم يرها.

دأبت (طيف) في الأيام الأخيـرة أن تأتي صباحاً لتجلس أمامه، وعلى غيـر عادته الخجولة لم يتمالك نفسه أن ينظر إليها بإصرارٍ، وسماجة تبلغ مبلغ الوقاحة، لم يستطع أن يحيل نظره عنها، وكأنه بعينيه يتلمس جسدها، ويشعر بحرارته، وكانت تبادله النظرة بالنظرة، وفي عينيها يلمح سؤالاً يحمل في طياته معنـى "وماذا بعد، ما التالي؟"، واستمر هذا الحال لفتـرة من الزمن، واليوم هو ينتظرها كزهرةٍ تنتظر الربيع.

بعد أن بلغ منه اليأس مبلغه، جاءت أخيـراً، واخضرّت صـحراء قلبه بعد يباس، واستحل الحبّ قلبه بعد يباب، جلست أمامه كعادتها، وكعادته –غيـر المألوفة- استمر بالنظر إليها، وجاءه (فيصل) بقهوته، وشرع في شربها، وكادت الأمور أن تسير على النهج ذاته التـي سارت عليه في الأيام السابقة، ينظر إليها، وتنظر إليه، ثم تنصرف، لولا أنها قامت، واتجهت إليه، وجلست على المقعد الخالي في طاولته، فأجفل واضطرب رغم سنيّ عمره التي دخلت نطاق الكهولة منذ سنوات، فسكب القهوة

التي كان يشربها على قميصه الأبيض، وكأنه مراهق شاب، ضبطه أبوه متلبساً بمغازلة ابنة الجيران. انتقل اضطرابه إليها، وحاولت أن تنظف بمنديلٍ أخذته من الطاولة ما انسكب على قميصه، شاعرة بالحرج مما حدث، بينما كان الحرج الحقيقي من نصيبه، وزاد حرجه مع مدها يديها الناعمتين إلى صدره لتنظف القهوة المسكوبة، فنظر إليها وتمتم بكلام لم يفهمه هو نفسه، لا يعرف إن كان ما قاله غزلاً، أم اعتذاراً، أم كلاماً لا معنى له.

لم تعرف ماذا تفعل، فاستدارت مغادرة المقهى وهي في قمة الارتباك والحرج، تاركة إياه يلوم نفسه على تصرفه الطفولي، وخجله الشديد الذي أفقده الفرصة للتعرف إلى هذه الحسناء الجميلة، وقضى ما تبقى من وقته وهو يتساءل في نفسه: "لماذا قامت إليّ؟! هل كانت تريد التعارف؟ أم تريد خدمة؟ أم تريد لومي على وقاحتي؟". راوده إحساس عجيب أنه لن يراها مرة أخرى، لا يعرف لماذا راوده هذا الإحساس، ومضى الوقت وهو يفكر في ما جرى، وأدرك أنه تأخر عن موعده اليوميّ للمغادرة، فنادى (فيصل) ليحاسبه، ومدّ يده إلى جيبه، ولكن مهلاً.. أين المال الذي كان في جيبه؟! أدرك لحظتها أنه فعلاً لن يراها مرة أخرى. لن يرى التي لم تسرق قلبه فقط، بل سرقت قلبه مع المال.

(٦)

رعب[1]

"لستُ ما أنا عليه، إن هذه هي إحدى أهم ثيمات قصص الرعب، أن تكون مع (الوحش) دون أن تعرف أنه كذلك".

هكذا بدأ الدكتور أحمد، محاضرته لطلاب كلية الآداب حول "أدب الرعب"، وتابع قائلاً: "لم يعد الرعب المليء بالعيون المقلوعة، والمخالب التي تنهش الأجساد، والموتى الذين يعودون للحياة، والغيلان، ومصاصي الدماء هي المحبّذة والمفضلة لدى جمهور القراء، بل صار الرعب المبني على التوتر، والذي يبقي القارئ أو المشاهد، متوتراً طوال الوقت هو الأنجح".

---

[1] إلى روح الدكتور أحمد خالد توفيق، مؤلف وروائي وطبيب مصري، يعدّ من أشهر وأول من كتبوا في أدب الرعب من الكتّاب العرب، وكثير مما ورد في هذه القصة، نقلته من مقابلات وحوارات أجريت معه.

تابع الدكتور محاضرته حول الرعب وأنواعه، وكان الطلاب مستمتعين جداً بكل حرفٍ يقوله، فشعبيته قد تجاوزت حدود المُحاضِر أو حتى الكاتب، فقد كان يعتبر الأب الروحي للشباب، والكاتب الذي ينتظر الشباب ما يكتبه بشغف، ولعل الدكتور نفسه لم يعرف أن كثيراً من الحاضرات والحاضرين ليسوا من كلية الآداب أساساً لكنهم حضروا عندما علموا أنه سيقدم هذه المحاضرة كضيفٍ على الجامعة.

وعلى الرغم من أن المحاضرة لم تزل في أولها، إلا أن أحد الطلاب قاطع الدكتور قائلاً:

- المعذرة يا دكتور، لا نريد منك أن تحدثنا عمّا يمكننا قراءته في المراجع، نريد منك ما لا يمكننا أن نجده في أي مكان آخر.

- وما هو ذلك؟

- كيف تكتب الرعب؟

- أنا لا أكتب الرعب أنا أصنعه وأعيشه.

- وهل هناك في ما تكتبه أشياء واقعية؟

- كل ما يشيب له رأسك عند قراءته هو من واقعي.

- إلى أي حد تأثرت بأدب الرعب القوطي؟

- الرعب القوطي الذي أكتبه يصنف ضمن الأدب الرومنسي، وأعتقد أن الرعب والحب يشتركان في النهاية.

- ولماذا كتبت قصص الرعب؟

- كتبت الرعب لأنني لم أجد ما يكفيني من الرعب.

- لماذا انتشر أدب الرعب في الفترة الأخيرة؟

- لأن الإنسان يجد متعة كبيرة فيه، فجاذبية الرعب تكمن في أنك تقترب من الموت دون أن تموت، ومن الخطر وأنت في أمان، لكني أعدكم اليوم بتجربة مختلفة جداً.

- وما هي؟

- ستقتربون كثيراً من تجربة الرعب وتعيشونه بدلاً عن قراءتِه.

- وكيف يمكن ذلك؟!

- سأريك عملياً.

وفتح الدكتور حقيبته وأخرج بعض الحاجيّاتِ منها ودخل خلف حاجز في طرف قاعة المحاضرات، وغاب فيها قليلاً والطلاب يتساءلون بينهم البين عما يفعله، خاصة وقد سمعوا جلبةً، وبعد أن بدأت همهمات التساؤل بينهم تتعالى، خرج الدكتور بهيئة مخيفة.. كان وجهه شاحباً،

وأنيابه طويلة، وأظافره أقرب إلى المخالب، بل إن صوته نفسه بدا غريباً وهو يقول:

- هل ما زالت فكرتكم عن الرعب سطحية كما كانت؟

ساد الهرج والمرج في القاعة وفقدت بعض الفتيات وعيهن في القاعة، وتعالى الصراخ من الحاضرين جميعاً، صراخ الرعب من البعض، وصراخ الآخرين على الدكتور كي يتوقف عن إرعابهم، لكنه صرخ فيهم قائلاً:

- ليس الرعب تسلية، ومن رأى فيه تسلية فليغادر القاعة الآن ودون تردد.

وبالفعل غادر جميع الطلاب القاعة إلا عدداً قليلاً من الطلاب الذين حاولوا أن يتماسكوا، وأن يرسموا على محياهم ملامح الشجاعة، واقترب أحدهم من الدكتور مبدياً إعجابه الشديد بالمكياج شديد الإتقان، من أنياب ومخالب، وبدأ في تحسس أنياب الدكتور، ومخالبه في حيرة حقيقية.

واستدار بعدها إلى صديقه قائلاً:

- تعال يا (عادل) وانظر لهذا المكياج، وهذه الاكسسوارات، واستفد من خبرة الدكتور، بدلاً عن المواد السخيفة التي تستخدمها.

نظر الدكتور إليه في برود، وعلى شفتيه ضحكة ساخرة، ورد بصوت عميق وأجش:

- لن يستطيع أن يستخدم مثلها أبداً.

استدار المتواجدون إليه في حيرة متسائلين عما يعنيه، وقبل أن يتلقوا جواباً سمعوا حركة خلف الحاجز الذي دخله الدكتور، تحرك الجميع إلا (عادل) إلى خلف الحاجز، ووقفوا متسمرين دون حركة، في نفس اللحظة التي اختطف الوحش (عادل)، وخرج من نافذة المدرَّج.

ذهبوا في إثرِهِ –بعد أن فقدوا لحظاتٍ ثمينة فقدوها في محاولة استيعاب الموقف-، وبقيَ منهم اثنان ساعدا الدكتور –الذي وجدوه خلف الحاجز- على النهوض، والوقوف على قدميه، وسألاه عما حدث، فأجاب:

- لا أعلم بالضبط، دخلت خلف الحاجز، وقبل أن أضع القناع وجدته أمامي، فأغمي عليّ من شدة الرعب، ولم أشعر بشيء.

ساعدوه على السير باتجاه مدخل المدرج متكئاً عليهما، وحين أوشكوا على بلوغ الباب، دخل الدكتور (أحمد) مستعجلاً ومرتبكاً، وهو يقول:

- أعتذر من تأخري عليكم لقد كانت زحمة المواصلات شديدة..

(٧)

الشاطر (حسن)

تقاعد سائق الباص في الشركة الوطنية المتحدة للدواجن، ولم يجد مدير الشركة بدّاً من أن يعيّن (حسن) مساعد السائق، سائقاً للباص.

- لكنّه لا يجيد القيادة.
- سيتعلم.

وعانى الموظفون في الشركة شهراً كاملاً من الرعب، وهو يقود الباص بتهورٍ وجنون، ويطلق السباب والشتائم على كل السائقين في الشارع مستعيناً بخزينة لغوية واسعة من مفردات الشتائم الشعبية، ولا بأس من استخدام اليد أحياناً ، حتى صار الجميع يطلقون عليه الشاطر (حسن).

لقد كانت قوانينه المرورية واضحة:

- الأولوية في الدوّار له مهما كانت الجهة التي جاء منها.
- الإشارات الجانبية عند الالتفاف لا معنى لها.
- لا توجد شوارع باتجاه واحد.
- الوقوف جائز ليس في اليمين واليسار فقط، لكنه جائزٌ في وسط الشارع أيضاً.
- يمكنك الوصول إلى الشارع المقابل بالصعود فوق الجزيرة الوسطية.
- الإشارات المرورية وضعت للمدللين.

ارتكب في الأسبوع الأول خمسة حوادث، أي بمعدل حادث في اليوم إذا استثنينا يومي العطلة الرسمية، ولكنّه لم يكن مخطئاً في أيٍّ منها حسب كلامه، رغم تأكيد الشهود في كل حادثة منها على أنّه يتحمّل مسؤوليتها كاملةً، لكنّه كان يرد: "إنها فوضى، كل من هبّ ودبّ صار يقود سيارة، وهو لا يستطيع أن يسوق حماراً!".

إنما من باب الإنصاف، فإنه خلال فترة قصيرة صار بارعاً في قيادة الباص، صحيح أنّه يضرب بالقوانين، والآداب المرورية عرض الحائط، لكنّه صار يضربها بإتقان.

وفي أحد الأيام، كان الموظفون في الباص يتناقشون حول اضطرار الشركة إلى رفع سعر البيض نتيجة ارتفاع التكاليف، وما سبَّبه هذا من احتجاجات عند الناس، رغم محاولة مدير الشركة أن يوضّح في تصريحات لوسائل الإعلام مدى ارتفاع كثير من المواد اللازمة لاستمرار العمل، وتأثير هذا على سعر البيض.

شاركهم (حسن) نقاشهم قائلاً:

- إن المدير لم يتعامل مع المشكلة بشكل صحيح.

رد (رشاد) المسؤول المالي بسخرية:

- وهل صرت خبيراً في التعامل الإعلامي يا أستاذ (حسن).
- بل أفهم في طباع البشر، وكيفية التعامل مع البسطاء من الناس، وكيف أوصل لهم الفكرة.

تدخلت (إيناس) مسؤولة الإعلام باستهزاء:

- هاتِ ما لديك لنرى.
- أستغفر الله العظيم، لا أعلم كيف يعيّنون امرأة مسؤولة للإعلام وصوت المرأة عورة، عموماً لا تبرروا أي شيء، يكفي أن توقفوا توزيع البيض إلى السوق لمدة أسبوع واحد،

وعندها سيطالبكم الناس أن تبيعوهم البيض، ولو بضعف سعره.

نظر (رشاد) إلى (إيناس) بدهشة، وقد رأيا أن الفكرة تستحق الدراسة بل والتطبيق، وفي الأيام التالية قاموا بتنفيذ فكرته، ومرّت الأمور كما توقع واستطاعت الشركة أن ترفع سعر البيض بمباركة الناس!

مرّت الأيام، وهو يتناقش مع الموظفين في كل ما يواجهونه من مشاكل، وعلى الرغم من أن الحلول التي كان يعطيها لم تكن حلولاً أخلاقية بأي حالٍ من الأحوال لكنها كانت تؤدي الغرض.

وفي يومٍ من الأيام، تأخر الموظفون في الشركة ساعة كاملة، وعندما استقلوا الباص، بادرهم بالسؤال عن سبب تأخرهم، فردّ (رشاد) منزعجاً:

- لقد وصل المدير لسنّ التقاعد، ويجب أن يتم انتخاب مدير جديد للشركة، ولم يترشح لهذا المنصب إلا نائب المدير، وهو شخص بغيض، والموظفون لا يطيقونه.
- ولماذا لا يترشح أحد منكم؟!
- إن النائب ذو علاقات كبيرة بمسؤولين كبار في البلد، وهم سيدعمونه بدون شك، والجميع يخشى الترشح أمامه، خوفاً من انتقامه بعد أن ينجح.

- الحلّ عندي.

بلهفة قالت (إيناس):

- على الرغم من غرابة أفكارك إلا أنها تنجح.
- أستغفر الله العظيم، قلت لك أن صوت المرأة عورة، ولا أعرف كيف يقبل الموظفون الذين في إدارتك أن يولّوا أمرهم امرأة!
- تباً لك، ولأفكارك المتخلفة.

عاد بهما (رشاد) إلى صلب الموضوع قائلاً:

- دعينا نرَ ما لديه، تكلم يا (حسن).
- الموضوع بسيط جداً، سأرشح نفسي وما عليكم إلا أن تدعموني لأنجح، وأنا في النهاية منكم وفيكم.

صاحت (إيناس) مستنكرة:

- هل جُننت، سائق باص وتريد أن تصبح مديراً.

استوقفها (رشاد) قائلاً:

- وماذا في ذلك، المدير الحالي كان سائق (تاكسي)!

نظر (رشاد) إلى (إيناس)، وقد رأيا أن الفكرة تستحق الدراسة، وفي الأيام التالية قاموا بتنفيذ فكرته، ومرّت الأمور كما توقع ونجح في الانتخابات أمام النائب وسط ذهول الجميع من موظفين، ومسؤولين!

ومرّت الأيام على الشركة الوطنية المتحدة للدواجن ومبيعاتها في ازدياد، على الرغم من الطرق غير الأخلاقية التي انتهجتها الشركة، كيف لا وعلى رأسها الشاطر (حسن).

(١)

العاشق الصامت

يحبها، لكنه لا يجرؤ على مصارحتها بذلك. كان يعمل سائقاً عند والدها الغني، وعاش في بيتهم منذ صغره، فقد كان يتيماً، بعد أن ماتت والدته التي كانت تعمل مربية في البيت، واحتفظ والدها بالولد (صبحي) الذي صار الآن شاباً تجاوز الخامسة والعشرين.

كانت (نسرين) بالنسبة له، المعيار الحقيقي للجمال، فكلما رأى حسناء في التلفاز، أو في الشارع، أو في مجلة يعطيها في مقياس الجمال نسبة من (نسرين)، فهذه جمالها نصف (نسرين)، وتلك ٤٠% منها، وتلك بارعة الجمال تستحق ٨٠% منها.

قلبه يخفق إذا رآها، ليس مجازاً ولكن حقيقةً، يخفق في صدره كأنه طائر مذبوح، ويشعر بتسارع دقاته وكأنه يدقدق على أضلاع صدره طلباً للخروج حتى يعانقها.

كثيراً ما يوصلها إلى خارج البيت بحكم عمله، إلا أن خجله الشديد كان يمنعه دائماً من الحديث معها، حتى إذا فتحت هي معه أيَّ موضوعٍ كانت تحدِّثُهُ بتعالٍ واضح، لا يملك معه إلا أن يردَّ باقتضاب.

كانت تعامله بغرورٍ، لكنّه كان يقبل ذلك ولا يهتمّ به ما دام يراها أمامه، ويمتّعُ ناظريه بجمالها الفائق، كان يعشق كل تفصيلة فيها، وكلَّ انحناءةٍ في جسمها، وكلَّ تعبيرٍ على وجهها.

درس في كلية الإعلام بمساعدة مادية من والدها، الذي كان يمنحه الكثير من الامتيازات التي لم يحصل عليها أي من العاملين لديه، وكان هذا الأمر يحيّره بشدّة، فعلى الرغم من أن والدته كانت تعمل لديه فإن هذا لم يكن مبرراً كافياً. كان يمكنه تخصيص مبلغٍ شهري له حتى يشعر بأنّه قام بما يجب عليه القيام به، ولكنه بالغ كثيراً في الاهتمام به.

تخرّج أخيراً من الكلية رغم عدم تركيزه في السنة الأخيرة، كانت تسيطر عليه فكرة التقدم لطلب يدها، وكان يتخيل ردود أفعال مختلفة

لوالدها، ما بين الغضب الشديد، أو الترحيب، أو عرض الموضوع عليها لتقرر بنفسها.

كان يناقش هذه الخيارات في ذهنه، ويرسم لها (السيناريوهات) المختلفة، بل إنه فكر أن يكتب هذه الأفكار في قصة أو حتى رواية، لكنه كان يتراجع عن ذلك.

في يومٍ بائس كئيب حدث ما لم يتوقعه أحد، لقد وقع حادث سير أليم أثناء خروجها مع أحد أصدقائها، أدى إلى موت الشاب، وتشوُّهِ وجهِها.

(نسرين)، معيار الجمال لديه، صارت مشوهةً لا يستطيع أحدٌ أن ينظر لوجهها دون أن يشيح بوجهه بعيداً.

يا سبحان الله، كيف يمكن لكل ذلك الجمال أن يتهاوى في لحظة واحدة، كيف يمكن لآلهة الجمال (فينوس) أن تصبح أشبه بـ(ميدوسا)[1] بين ليلةٍ وضحاها، وأن تذبل كوردةٍ لم تروِها قطرة ماء واحدة.

لم تكن (نسرين) تخرج من غرفتها، وتجنبت أصدقاءها وصديقاتها، واعتزلت الناس، مما دعا والدها أن يستدعيه إليه، وأجلسه أمامه على المكتب، وبادره بالقول:

---

[1] ميدوسا: كائن خرافي، بشعة المظهر، وشعرها ثعابين، تحول من ينظر إليها إلى حجر حسب الميثولوجيا الإغريقية.

- أنت تحبّها.
- لا أنكر أني كنت أحبّها.
- كنت؟!
- أنت لك عليّ فضلٌ لا يمكنني أن أنكره، فقد شملتني برعايتك وعطفك، وربيتني في بيتك، وساعدتني على إتمام دراستي حتى تخرجت من الجامعة، لكنني عندما أحببت (نسرين)، لم أحبّ فيها إلا الجمال الذي لم يعد موجوداً الآن، وحاولت جاهداً أن أحبَّ روحها، لكنها لم تترك لي سبيلاً إلى ذلك، وعاملتني بغرورٍ وتعالٍ.
- لكنها تحتاج بشدة الآن إلى من يقف بجانبها.
- أنا على استعداد لأي شيء في سبيل رضاك أنت، فلك علي فضلٌ لا يمكنني نكرانه.
- ما أريده منك لا يمكن أن يُطلب أو يُستجدى أو يُشترى، أريد منك أن تتزوجها، وما كنت لأطلبَ منك ذلك لو لم أكن متأكداً أنك تحبّها، فقد كان ذلك واضحاً عليك وإن حاولت لأدبك أن تخفيه.

- لو كنت طلبت مني ذلك قبل فترة وجيزة لطرتُ فرحاً، وملكتُ الدنيا من سعادتي، لكن..
- لكن ماذا؟! هل توقفت عن حبها بعد الحادث؟
- بل قبل ذلك بأيام. جلست مع نفسي، وأدركتُ أن حبّي لها، حبُّ جسدٍ لا حب روح، وأن اقتراني بها سيجعل حياتي معها جحيماً.
- السعادة في الحب ترتبط بالوصال. أليس كذلك؟
- نعم.. ليس كذلك، إن بعض الحب يكون أكثر جمالاً، وهو بعيد، ونحن نحاول أن نقترب منه، وأن نحصل عليه، فإذا فعلنا اكتشفنا أيَّ مغفلين كنا، كالقمر الجميل عن بعد، أما إذا اقتربت منه رأيت التشققات والحفر على سطحه.
- كما قلت لك يا بني، المشاعر لا تباع ولا تشترى، وما دام حبُّكَ لها قد انتهى، فلا أستطيع إلا أن أتمنى لك الخير والتوفيق.
- أعتذر بشدة، وأتمنى لك ولـ(نسرين) كل الخير.

وغادر (صبحي) الغرفة، ليجد (نسرين) واقفة عند باب الغرفة، وعلى خديها يسيل دمعها. نظر إليها، وأمسك كفيها بيديه، قائلاً:

- أنا آسف.
- لا داعي للأسف، لقد قدمت لي خدمة جليلة.
- أنا؟!
- نعم. لقد علمتني أن جمال الروح هو الباقي.

مضى في اتجاه الباب، توقف قليلاً، ثم استدار إليها قائلاً:

- لن أكذب على نفسي، وعليكِ، أنا أحبكِ، ولن أستطيع أن أدعي أني نسيتُكِ، لم أستطع أن أراكِ مع غيري، فأقنعت نفسي بنسيانك، وأوهمت قلبي أنني قنعتُ من حبِّكِ.

اقترب منها، وتخللت يده خصلات شعرها، وقرَّب فمه من أذنها، وهمس فيها بحرارة:

- (نسرين)... لم أرَكِ إلا بعين العاشق الذي تنفذ نظرته إلى الروح ولا تتوقف عند الجسد، وروحك أجمل بكثير مما تبدو عليه، إن ما يراه فيك مَن حولك من غرورٍ، وطيشٍ، وتعالٍ ما هو إلا محاولة منك للتماهي مع أصدقائك، وتقليدٍ ساذج لغرورهم، ولامبالاتهم، ووجه الفتاة المدللة، التافهة ليس سوى قناعٍ يختفي خلفه الوجه الحقيقي لشخصية الفتاة المحبة، البريئة، العطوفة التي عرفتها منذ الطفولة، وزاد

حبي لها عاماً بعد عام... أريد تلك الفتاة... (نسرين)... هل تتزوجيني؟

انهمرت دموعها، وحضنته بقوة، مرددة:

- نعم... نعم... نعم.

دخل (صبحي) غرفته الصغيرة في طرف الحديقة للمرة الأخيرة... غداً سينتقل للعيش مع "زوجته" في البيت، تمدد على السرير، وابتسم ابتسامة واسعة، ونظر إلى مفكّ صواميل العجلة بنظرة امتنان.

(٩)

على هامان

دعا (سمير) مجموعة من أصدقائه بمناسبة عيد ميلاده العشرين إلى حفلة تنكرية، كان المدعوون صديقه المحبّ للمقالب (عمار)، وصديقه الوقور (سامي)، وأخته الصغيرة (أريج)، وزميلها (راشد).

اجتمع الأصدقاء الخمسة في حديقة المنزل، كان (سمير) قد تنكر بزيِّ مصاص دماء بملابسه السوداء، ونابيه البارزين، وتنكر (عمار) بهيئة غول، و(سامي) بهيئة شخصٍ مقتولٍ بسكينة في عنقه، و(أريج) بهيئة زومبي، و(راشد) بهيئة ملاك الموت بعباءتِهِ والمنجل في يده.

قرر (سمير) بالاتفاق مع (سامي) أن يقوما بخداع (عمار) الذي تعود أن يكون هو صاحب المقالب المرعبة، فاتفق (سمير) مع (عمار) على إرعاب (سامي)، بينما كان (سامي) يجهّز مفاجأة لـ(عمار).

جلس الجميع على الطاولة الصغيرة بعد أن قضوا على قالب الحلوى، وشرعوا في تبادل الأحاديث المرعبة، واقترح (سمير) أن يتحدث كلٌّ منهم عن الزي الذي اختاره وارتداه لهذه الحفلة.

بدأ (سمير) بنفسه، قائلاً:

- الشخصية التي اخترتها هي شخصية مصاص الدماء (دراكيولا)، التي جسدتها السينما فأصبحت معروفة لدينا جميعاً، وهي شخصية تتغذى على دماء ضحاياها فلينتبه كلٌّ منكم لعنقه.

وأطلق (سمير) ضحكة مرعبة، جعلت (أريج)، وزميلها (راشد)، وهما الأصغر سناً في المجموعة يشعران بالرعب، ولذلك قرر أن يدعو (عمار) للحديث عن الشخصية التي اختارها، حتى ينتهوا من المقلب الذي دبره، فتوجه بحديثه إلى (عمار) غامزاً له:

- إنه دورك يا (عمار) فما هي الشخصية التي اخترتها.

- قد تبدو لكم شخصيتي، شخصية (غولٍ) عادي، لكني أقصد غولاً معيناً يُدعى عندنا في اليمن باسم (صياد أم الصبيان)، وهي (غول) بشع تأكل ضحاياها الذين تستفرد بهم، هل تعرفون ما الذي يميزها؟

ردّ الجميع بخوف، وقد أثّر فيهم أسلوب (عمار) المرعب في الكلام:

- لا نعرف.
- إن ما يميزها هو أن لها رجل (ماعز).

ورفع (عمار) رجله بسرعة ليضعها على الطاولة قائلاً لهم بصوت مرعب:

- مثل هذه.

شعر الجميع بالرعب، وصرخوا وهم يرون رجل الماعز التي رفعها (عمار) إلى الطاولة، إلا (سامي)، الذي رفع بدوره رجله إلى الطاولة، قائلاً بوقاره المعهود:

- تقصد مثل هذه.

كانت المفاجأة من نصيب (عمار) الذي ارتد بظهره إلى الوراء، ومع ارتفاع رجله على الطاولة، اختل توازنه فسقط مع الكرسي إلى الأرض،

مع تصاعد ضحكات (سمير) و(سامي)، الذين حققا النصر على (عمار)، واستطاعا للمرة الأولى أن يرعباه بدلاً من أن يرعبهما.

- سمير: ما رأيك بهذا المقلب يا (عمار).
- عمار: لقد تمكنتما مني هذه المرة، لقد جعلتماني أشعر أنني الصياد في حين كنت الفريسة.
- سامي: لم نكن لنترك فرصة مثل هذه لكي نردَّ لك واحداً من المقالب الكثيرة التي صنعتها بنا من قبل.
- أريج: انظروا إلى (راشد)، إن الخوف قد نال منه.

نظر الأصدقاء إلى (راشد) الذي بدا متجمداً في مكانه، ويلهث بصوتٍ واضح، وقد ثبت نظره على أقدام الماعز في قدم (سامي).

- سامي: لا تخف يا (راشد)، إن هذه ليست قدمي، إنها قدم ماعز ركبتها في قدمي بشكلٍ يوحي أنها حقيقية، انظر إليها.

حدَّق (راشد) في وجهه، وابتسم ابتسامةً شيطانيَّةً، وقال بصوتٍ لا يمكن أن يصدرَ عن بشريٍّ، تردد صداه كأنَّه قادمٌ من أعماق الجحيم:

- تقصد أنها ليست كهذه.

ورفع رجله التي انتهت بقدم ماعزٍ... حقيقية.

(١٠)

أغنية

لا يعرف لماذا يستمع بشكلٍ دائم لتلك الأغنية، أو إذا شئنا الدقة، فهو يعرف تماماً لماذا يستمع إليها دائماً لكنّه يتغابى ولا يريد الاعتراف.

ببساطة، إنها تذكّره بها، وهو يريد أن ينساها، كانا يستمعان إليها في فترة خطوبتهما، يجلسان بقرب بعضهما، ويتشاركان سماعتي الأذن، وتمر الدقائق الخمس والثواني العشرون للأغنية، وكأنها لحظات سرقاها في غفلةٍ عن عيون الحزن.

لم يكن استمرار زواجهما ممكناً، لأسباب عائلية معقدة ومتشابكة، لذا كُتب عليهما الانفصال، لذنبٍ لم يقترفاه، وعلى الرغم من أن أفراد

عائلتيهما يعلمون مدى حبهما لبعض، إلا أن ذلك لم يشفع لحبهما لديهم.

قاسيةٌ هي الظروف التي تحكم على الحبِّ بالإعدام، هكذا فكَّر في صمت، إنَّ الحُبَّ قاصرٌ لا يجوز أن يطبَّق عليه حكم الإعدام.

ضحك في قرارة نفسه، وهو يتخيل الحُبَّ القاصر في قفص الاتهام، وهو يدافع عنه –كونه محامياً- ويدفع ببراءةِ موكِّله الذي لم يبلغ السن القانونية لتنفيذ حكم الإعدام.

وبما أن الحُبَّ هو المتَّهم، فلا بدّ من أنّ الادعاء هم أفراد عائلتيهما، وأن القاضي هو القسمة والنصيب، الذي قضى في نهاية المطاف بتنفيذ حكم الإعدام في الحُبّ.

يلقبه زملاؤه بـ"المحامي الذي لم يخسر قضية"، لكنَّه بالتأكيد خسر قضيته أمام القسمة والنصيب، ليس لأنَّ مرافعته لم تكن مقنعة، ولا لأنَّ الأدلَّة التي قدمها لم تكن مقنعة، لكن لأنَّ لا أحد يكسب قضيته أمام القسمة والنصيب.

من قال ذلك؟! من قال أنَّك لا تستطيع أن تكسب قضيَّتك أمام القسمة والنصيب؟ إن القسمة والنصيب تعريفٌ هلاميٌّ، فإذا ارتبط فلانٌ بفلانة، قالوا هي قسمة ونصيب، وإذا لم يرتبطا قالوا هي القسمة والنصيب.

لماذا لا يتحدى القسمة والنصيب؟ إنَّه لن ينتصر عليه بالطرق التقليدية، بل سيجعل من اقترانه بحبيبته هو القسمة والنصيب، ويسعى إلى تحقيقه ليكونَ قسمةً ونصيباً.

لا شكَّ أنه لم يعد طبيعياً، ما هذا الكلام الذي يقوله؟ هل بدأ بالسير في طريق مجنون ليلى، وجميل بثينة، لينتهيَ به الأمر إلى الجنون أو الموت؟ لم يكن يؤمن أن الحُبَّ يؤدي إلى الجنون، لا لشيءٍ إلا لأن الحُبَّ في حدِّ ذاته ضربٌ من الجنون، كيف لعاقلٍ أن يتزوج؟! لو فكَّر العاشقان قبل أن يتزوجا، لنفضا الفكرة من عقليهما قبل أن يجرؤا على تنفيذها.

أن تعيش مع امرأة واحدة طيلة حياتك، وأن تسعى بنفسك لتعكير الهدوء الذي قد تنعم به في شهور حياتك الزوجية الأولى بسعيك لإنجاب ولدٍ أو بنت، ليجعل من حياتك جحيماً لا يمكن وصفه، مستشفى وولادة ومصاريف، ثم مع كل مرحلة عمرية المزيد من المصاريف، ابتداء من الحليب والحفاضات حتى مصاريف الجامعة، هل يمكن لعاقلٍ أن يفعل ذلك؟!

إنَّ القلب هو مركز العاطفةِ والحبِّ، والعقلَ هو مركزُ المنطقِ والتفكيرِ -هكذا قيل لنا على الأقل- ولذلك فإنَّ العقل لا يحبُّ، بل يترك الأمر للقلبِ، وهو عندما اتخذ قرار الانفصال، أخذه بعقله لا بقلبه، فكان كمن يذهب إلى الطبيب ليستشيره في الدين، أو كمن يذهب إلى الجزار كي يصلح له سيارته.

كان عليه أن يسأل قلبه سؤالاً واضحاً: "هل لا زلت تحبُّها؟"، فإن أجاب بنعم، كان عليه حينها أن يكبِّلَ عقله بالشرايين والأوردة المتصلة به، حتى لا يأخذ قراراً غبيّاً دون الرجوع إلى قلبه.

ما زال هناك متسعٌ من الوقت، إنَّ زواج حبيبته لن يتمَّ إلا مساء اليوم، سيذهب بسيارته إلى بيتها، ويلبس ثوب المحاماة، ليترافع عن حبه للمرة الأخيرة، سيضع في إحدى أذنيه سماعة موصولة بمشغل موسيقى، ليستمع إلى أغنية مدتها خمس دقائق وعشرون ثانية، وهي فترة أكثر من كافية ليتم فيها مرافعته الأخيرة للدفاع عن حبه، واستعادة حبيبته.

دخل منزل حبيبته، وأتم مرافعته، وخرج وما زال يحمل لقب "المحامي الذي لم يخسر مرافعة".

(١١)

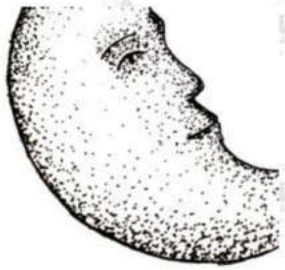

قضاء وقمر

"الإغريق عازمون على العودة بعد فشل حصارهم لطروادة"، قال المراقب لـ(باريس) الذي كان برفقة أبيه (بريام)، "وقد تركوا حصاناً خشبياً عملاقاً خارج أسوار المدينة، في ما يبدو أنه هدية سلام".

"أدخلوا الحصان إلى المدينة، واحتفلوا بالنصر"، أجاب الملك (بريام) بنشوة نصرٍ عارمة.

قضى الطرواديون ليلتهم في احتفالات كبيرة بانتهاء عشر سنواتٍ من الحصار على مدينتهم، فشربوا الخمر، وغَنَّوا، ورقصوا، حتى بلغ منهم التعب والإعياء مبلغه، واستسلموا للنوم.

وقبل الفجر، انفتحت كوَّةٌ في جسم الحصان الخشبي العملاق، خرجت منه مجموعة مسلحة من الجنود الإغريق، بسلاحهم وعتادهم، ولم يجدوا صعوبة في قتل من اعترض طريقهم من الطرواديين الذين لم يستسلموا جميعاً للنوم بعد، وفتحوا أبواب المدينة من الداخل ليدخل الجيش الإغريقي الذي أوهم الطرواديين برحيله، لتحدث في تلك الليلة أكبر مذبحة في تاريخ المدينة.

في تلك الأثناء كان (باريس) في غرفته مع محبوبته (هيلين)، زوجة ملك اسبرطة (منيلاوس)، التي هربت مع (باريس) لطروادة متسببة بهذه الحرب، وسمعا جلبة من خارج الغرفة إثر دخول الإغريق للقصر. خرج حاملاً سيفه، وقوسه، وسهامه، ورافقته محبوبته، وشقَّا طريقهما عبر ردهات القصر.

التقيا في طريقهما، بـ(أخيل)، البطل الإغريقي، الذي قتل (هيكتور) شقيق (باريس)، ومعه مجموعة من الجنود الإغريق. قاوم بشدة، وأطلق من قوسه سهماً مسموماً، أصاب –بتوجيهٍ من (أفروديت) آلهة الحب- كعب (أخيل)، وحاول الجنود القبض عليها، وقتله إلا أنهم واجهوا مقاومة شديدة، وفي خضم القتال، شقَّ سهمٌ طريقَه متوجهاً إلى عنقها، فما كان منه إلا أن قفز يحتضنها ويبعدها عن طريق السهم، صارخاً بأعلى صوته: (هيلييين).

وصحا (أنس) من نومه مفزوعاً، يا له من حلمٍ عجيب، لا شكَّ أنه تأثر بفيلم (TROY) الذي شاهده قبل النوم، والذي يحكي عن حرب طروادة. ما استغرب له أنه لا يذكر تفاصيل من رآهم في حلمه، إلا (هيلين) التي كان وجهها واضح الملامح –على عكس الآخرين-، والغريب أيضاً أن ملامحها لا تمت بصلة لـ(ديان كروجر) بطلة الفيلم بيضاء البشرة، وشقراء الشعر، بل كانت ملامح (هيلين) في حلمه شرقية جداً، ببشرتها السمراء، وشعرها الأسود الطويل.

قام واستحمّ سريعاً، وتناول فطوره واقفاً، ووالدته تصرخ كعادتها:

- متى سنفرح بك يا بني؟!

- الزواج قضاء الله وقدره، فاتركيه إلى حينه.

وغادر إلى المدرسة الابتدائية التي يعلّم فيها الرسم، كان أشهر عزّاب المدرّسين، ومحط أنظار المدرّسات، إلا أنه كان يرد على كلِّ من يسأله عن الزواج.

- الزواج قضاء وقدر.

في نهاية اليوم الدراسي، اجتمع المدرسون والمدرسات في الغرفة الخاصة بهم، وصاح مدرّس التربية الرياضية بـ(أنس):

- إلى متى ستبقى عازباً؟!

- إلى أن يشاء الله، فالزواج..
- أعرف ما ستقول، الزواج قضاء وقدر، لكن قطار العمر يمضي سريعاً يا صديقي، ولن ينتظرك في المحطة.
- لم أجد بعد من تجعلني أقدم على الزواج.

تدخلت أستاذة العلوم قائلةً:

- ألم تقنعك أيٌّ من المدرِّسات العزباوات بذلك، إنهنّ دائمات الحديث عنك في خلواتهنّ، ومنهنّ الجميلة، والثرية، وست البيت، ألم تجد فيهنّ من تقنعك بالزواج؟
- إن الحُبَّ لا يرتبط بالمنطق، ولا يتعلق بالحسابات، فقد يقع الإنسان في حبِّ من لا يمكنه أن يقع في هواها لو فكَّر قليلاً.
- لا أعرف لماذا لا تدرِّس الفلسفة بدلاً عن الرسم.

قُرع الجرس إيذاناً ببدء الحصة، فذهب كلٌّ منهم إلى فصله، وبعد انتهاء اليوم الدراسي عاد إلى البيت، وتناول الغداء، ودخل إلى غرفة صغيرة يستخدمها كمرسمٍ، ويقضي فيها ساعاتٍ طويلة، ورفع القماش عن لوحة لم يكملها بعد.

كانت اللوحة لفتاةٍ رائعة الجمال، هي نسخة من (هيلين) التي رآها في الحلم، كان يحلم بها كلَّ يومٍ، فمرةً زارته في الحلم بشخصية (عبلة)، ومرة بشخصية (جولييت)، ومرة بشخصية (كليوباترا)، وكان دائماً ما ينقذها من خطرٍ ما في نهاية الحلم، ويصحو مفزوعاً من نومه.

هو واثقٌ أنه لم يرها من قبل، فهي ليست وجهاً يُنسى، وليست مما تمكن تسميته (الوجوه العابرة) التي يرى المرء منها العشرات يومياً، فينساها بمجرد أن يدير ظهره لها.

لن يكمل اللوحة اليوم، فالمدرسة تستعد للاحتفال بعيد الأم في الأيام القادمة، وعليه أن يجهز اللوحات التي ستزين المسرح، أثناء عرض المسرحية الموسيقية المعدّة لهذه المناسبة.

قضى ساعاتٍ طويلةً في تجهيز اللوحات، حتى شارفت الشمس على الشروق، فاسترق ساعات نومٍ قليلة، وكانت تلك الليلة الوحيدة التي لم تزره فتاته الحسناء في الحلم، لم يعلم لماذا. هل هو الإرهاق، أم التأخر في النوم، أجَّل التفكير في ذلك، رغم انزعاجِهِ من غيابِها، وأخذ اللوحات وتوجَّهَ إلى المدرسة بعد أن تناول فطوره واقفاً كعادته.

بعد طابور الصباح، اتجَّهَ إلى مسرح المدرسة، ليلقى في الطريق مسؤولة النشاط، التي بادرته بالسؤال:

- هل أحضرت لوحات الحفل، إن أستاذة الموسيقى الجديدة في المسرح، تشرف على البروفات النهائية للمسرحية، وتريد أن ترى اللوحات.
- إنها معي، هيَّا بنا إلى المسرح.
- اسبقني، فسوف أحضر ثياب الممثلين، وألحق بك.

توجَّهَ نحو المسرح بخطواتٍ سريعة، وما أن دخل إلى المسرح حتى وجد أستاذة الموسيقى فوق سلَّمٍ عالٍ تحاولُ أن تعلِّقَ فوانيسَ ملونة في سقف المسرح، وما أن بلغ منتصف المسرح، ورفع رأسه إلى الأعلى حتى تفاجأ بأن المدرِّسة قد اختل توازنها، وسقطت من على السلم، فقفز سريعاً ليحتضنها بيديه ويقع معها أرضاً.

سألها بلهفة:

- هل أصابك مكروه؟

تنفست بشدة مع التوتر الذي أصابها، ورفعت خصلات شعرها الأسود الطويل من على وجهها، وهي تقول:

- لا أعرف كيف أشكرك، لقد أتيت في الوقت المناسب.

فغر (أنس) فاه، نعم، إنها هي، البنت التي تزور أحلامه كل يومٍ، إلا اليوم، فقد جاءت بشحمها، ولحمها، وحسنِها، وسحرِها. لم يعرف ماذا يقول، فقال بتلقائية:

- أنتِ التي تأخرتِ.
- تأخرتُ عن ماذا؟ لقد أتيت في موعدي لمتابعة بروفة المسرحية.
- لم تزوريني بالأمس.

صرخت بعصبية:

- أزورك؟ هل أنت مجنون؟ هل تعرفني أو أعرفك؟!
- لن تصدقيني إذا قلتُ لكِ أنَّك الفتاة التي أحلمُ بها.. حرفيّاً، وبما تحمله الكلمة من معنى.

ابتسمت الفتاة بخجل، وقالت:

- لا أعرف إن كانت هذه جرأة منك أم وقاحة. من أنت؟!
- أنا (أنس) مدرِّس الرسم، وقد أحضرت لوحات المسرحية. وأنتِ؟
- أنا (قمر)، مدرِّسة الموسيقى، والمشرفة على المسرحية.

ابتسم وساعدها على النهوض، وأكمل معها الإشراف على المسرحية، وتجهيز المسرح للعرض الرسمي، وهو يشعر بسعادة لا مثيل لها، فمن قال أن الأحلام لا تتحقق؟

ومن يومها، كلَّما سأله أحدهم: "متى ستتزوج؟"، يجيبه بابتسامة واسعة: "الزواج قضاءٌ و(قمر)".

(١٢)

تاكسي (كازانوفا)

- فاضية؟

ابتسمت وهي تستمع للمعاكسة، وارتاحت لها رغم الامتعاض الذي رسمته على وجهها، ونهرته قائلة:

- ومنذ متى يسأل سائقو التاكسي زبائنهم إذا كانوا "فاضيين"؟ هل انقلبت الآية؟!

- بصراحة. أريد أن أبيع التاكسي، وركوبك له سيرفع كثيراً من قيمته.

ارتفعت ضحكتها هذه المرة، ونظرت إلى وجهه الوسيم، وفتحت باب السيارة وهي تقول:

- ما دام الأمر كذلك، سأركب حتى أساعدك، وكتب الله لي الأجر.
- الطيبة، وحب مساعدة المساكين من أمثالي واضحة في ملامحك وثيابك. ما هو اسمك اليوم؟
- ليست لي أسماء عديدة كما تظن، ليس لي إلا اسمان واحد حقيقي، وآخر أختفي خلفه عندما أفعل الخير.
- اذن فلتعطني اسمك غير الحقيقي، فإني تواق إلى أن تفعلي بي خيراً.
- أنا معروفة باسم (خيرية) لإكثاري من عمل الخير. وأنت ما اسمك؟
- كثر الله من أمثالك، اسمي الحقيقي كامل لكنني معروف باسم كازانوفا لبحثي الدائم عن النساء المحبات لعمل الخير من أمثالك.

ضحكت (خيرية) بدلال، وقالت:

- ولمَ اعطيتني اسمك الحقيقي، إنَّه لا يهمُّني في شيء، سأناديك (كازانوفا).

- نحن الرجال في هذا البلد لا نخشى الفضائح كما تفعلن، فالحمد لله الذي جعلني ذكراً في مجتمع ذكوري
- لا تذكرني بذلك، دعك من هذا وقل لي، إلى أين ستأخذني؟
- أعرف مكاناً منعزلاً ومناسباً.

ومضى (كازانوفا) بسيارته إلى المكان المقصود، وشغَّل في مسجلة السيارة أغنية "بيني وبينك خطوة ونص"، وما أن وصلا حتى أوقف السيارة في أشدِّ الأماكن عتمة، ونزل من مقعد السائق ودخل إلى الكرسي الخلفي، وضرب رقمه القياسي السابق واستطاع أن يعرِّيَ (خيرية) في دقيقة وعشر ثوانٍ، بدلاً عن دقيقة ونصف مع (سوزي)، وأثبت لها أن لسانه قادرٌ على ما هو أكثر من قول الكلام المعسول.

لم تستمتع (خيرية) في حياتها كما استمتعت في ذلك اليوم، رغم أنها ذات يدٍ طولى في فعل الخير، ولم تكد تصل إلى ذروة المتعة حتى أنارت الأضواء المكان، وتم القبض عليهم من قِبَل شرطة الآداب.

ارتبكا، وسقط قلباهما ذعراً، وفجأة اتسعت ابتسامة (كازانوفا)، حين اكتشف أن الضابط الذي يقود الحملة صديقه العزيز (زيدان)، الذي بادره بالقول:

- ماذا تفعل هنا يا (كمال)؟

- كما ترى، لا تفضحني.
- تبّاً لك.

وصرخ في أفراد الحملة الذين معه:

- اسبقوني إلى القسم، لا توجد قضية.

وعاد بحديثه لصديقه:

- ما الذي تفعله؟
- سأحدثك عن ذلك بالتفصيل في المساء عندما نلتقي في المقهى.
- وهل تظنني سأتركك إلى ذلك الحين، لقد صرفت الحملة وعليك أن توصلني.
- إذن اصعد معي وسنذهب إلى المقهى، ونوصلها في الطريق.

وبالفعل، أوصلا (خيرية) -التي لم تزل غير مصدقة أنها نجت من الفضيحة- إلى الشارع العام، وأكملا طريقهما إلى المقهى الذي يلتقيان فيه بأصدقائهما كل مساء.

وفي الطريق حاول (زيدان) أن يعرف من (كمال) القصة، إلا أنَّه أصرَّ ألا يتحدث إلا في المقهى، وتحديداً أمام صاحب المقهى المعلم (عباس)

الذي من الصعب وصفه دون جرح مشاعره، دعنا نقل عنه أنَّه رجلٌ قطع كلَّ أواصر الودِّ مع الوسامة، وأنَّ النساء يهربن منه هربَ الأمنِ عن فؤاد الجبان كما (المعري)، وبسبب ذلك، كان المعلم شديد التعلق بالنساء، وكان مستعداً أن يبذل الغالي والنفيس ليحظى بأقل القليل من أي امرأة.

وصلا إلى المقهى، وجلسا على الطاولة مع المعلم، وبادر (زيدان) بالقول:

- لن تصدق يا معلم ما الذي حصل اليوم.
- خير اللهم اجعله خيراً.

تدخّل (كمال) قائلاً:

- لم يكن خيراً لكن الله جعل من (زيدان) سبباً في نجاتي من فضيحة مدوية.
- يبدو أن الموضوع كبير. يا ولد، هاتِ ٣ عصير كوكتيل إلى هنا، هاتِ التفاصيل.
- اليوم ركبت معي في الـ(تاكسي) زبونة في غاية الجمال والأناقة والإثارة، انظر إليها يا معلم.

وأخرج هاتفه المحمول وعرض له صورتها، فكادت عيناه أن تغادرا محجريهما، ولم يستطع التحكم في لسانه الذي تدلدل خارجاً من فمه من فرط الإثارة والانفعال، فسال لعابه، وأدرك (كمال) أنَّه قد أصاب هدفه بدقة، فتابع قائلاً:

- وما أن صعدت للسيارة حتى بدأت بمغازلتي، وكانت تلميحاتها واضحة، ومطالبها صريحة بل وقحة أحياناً، لكنني كما تعلم عني، أتقي الله في لقمة عيشي، ومصدر رزقي، إلا أنها كانت لحوحة جداً، بل وعرضت عليَّ المال كتعويض عن الوقت الذي سأقضيه معها بعيداً عن عملي.
- طبعاً، فأنت وسيم وذو جسم رياضي.
- لا ليس هذا السبب بالتأكيد، لا أخفيك سراً أنَّ التاكسي هذا مميز جداً، لا أعرف لماذا يثير شهوة النساء ما أن يصعدن إليه، فقد تكرر هذا الأمر مع كثير من النساء، واليوم داهمتنا حملة من شرطة الآداب ولولا أنَّ الحملة كانت بقيادة صديقنا (زيدان) الذي استطاع أن يغلق القضية لكانت فضيحتي أنا و(خيرية) على كل لسان.
- واسمها (خيرية)؟

شعر (عباس) بأنَّ هذه فرصة لا تعوض كي يطفئ ناره، وأحسَّ (كمال) أنَّ الصنارة قد غمزت، فتابع قائلاً:

- إنني أفكر جدياً في بيع التاكسي، فأنا لا أملك الوقت لهذه الأمور، المشكلة أني اشتريته بضعف قيمة أمثاله، وقمت بعمل الكثير من الإصلاحات فيه.
- أنا أشتريه منك بثلاثة أضعاف السعر.. وفوراً.

تمت الصفقة، ولم يتمالك (زيدان) نفسه من الإعجاب بذكاء صديقه وفهمه لطبيعة البشر.

وفي اليوم الثاني كان المعلم في الشارع الذي أخبره (كمال) بأن (خيرية) تمرّ منه دائماً، وانتظر لساعات حتى رآها، فاقترب بالسيارة منها، وما أن رأت السيارة حتى صعدت إليها، فتفاجأت بـ(عباس)، وصرخت:

- من أنت؟

أخبرها المعلم بما حدث بتفاصيله كلها، فضحكت، وقالت:

- لم أكن مدركة أنه كان يعني ما يقول حرفياً عندما قال أن "ركوبي للتاكسي سيرفع من قيمته".

وفتحت باب السيارة استعداداً للنزول منها، وسط اعتراض المعلم الذي قال:

- ما الذي ستفعلينه؟ وأين ستذهبين؟
- سأغادر فقد ظننتك (كازانوفا).
- ولكن التاكسي نفسه لم يتغير.
- هذا التاكسي فأين جاذبية (كازانوفا).

وغادرت تاركة المعلم يندب حظه العاثر.

(١٣)

حديث النجوم

انقطعت الكهرباء عن المدينة بسبب خلل في محطة الكهرباء، فشعرت البنات الثلاث (حلا) و(سلاف) و(رهف) بالضيق بعدما فقدن كل وسائل التسلية المرتبطة بالكهرباء من (تلفزيون)، و(موبايل)، و(ألعاب إليكترونية)، فذهبن إلى الأب الذي كان مستغرقا بقراءة كتاب على ضوء الشموع.

حلا: بابا، لا نجد ما نفعله مع انقطاع الكهرباء.

الأب: يجب أن تتعودن على انقطاع الكهرباء، فسيستمر هذا الحال طويلا.

سلاف: يا للملل، كيف سنتحمل ذلك.

الأب: سأعلمكن لعبة (التحدث إلى النجوم).

رهف: وهل تتحدث النجوم؟

الأب: كانت العرب قديما تطلق على النجوم أسماء، فهناك نجوم (سهيل)، و(سعد)، و(سيف)، وهناك مجموعة من سبع نجوم تطلق عليها العرب اسم (الثريا).

حلا: وكيف نسمع النجوم؟

الأب: لا نستطيع سماع أصوات النجوم، لكننا إذا أطلنا النظر إلى كل نجمة نستطيع أن نشعر بما تريد أن تقوله، هيا بنا إلى الحديقة لأريكن كيف نتحدث إلى النجوم.

خرج الأب مع بناته إلى الحديقة، وكانت السماء في تلك الليلة صافية، والقمر بدرا، فجلس الأب، وجلست (حلا) و(سلاف) على جانبيه، بينما جلست الصغيرة (رهف) في حضنه.

رهف: هيا يا أبي، تحدث إلى النجوم.

الأب: انظرن إلى تلك النجمة التي تحاول أن تختبئ خلف القمر بخجل شديد، تلك (حلا) الخجولة، وتلك النجمة الجميلة التي تبدو أكثر زينة من الأخريات، إنها (سلاف) المهتمة بأناقتها، وتلك النجمة المشاغبة التي تومض بشدة إنها (رهف) المشاغبة.

ضحكت البنات بسعادة.

رهف: وأين نجمك يا أبي؟

الأب: كما تعرفن. إني مسافر غدا في رحلة عمل قد تطول، لذلك فإن نجمي هو ذلك النجم البعيد الذي يرى بصعوبة، فإذا أردتن الحديث إلي في غيابي، فتحدثن إلى ذلك النجم، وسأسمعكن بوضوح. لنجرب ذلك، تحدثن إلى ذلك النجم بأمنياتكن.

حلا: أيها النجم البعيد، أريد منك (بيانو) كي أعزف عليه.

سلاف: وأنا أريد علبة (مكياج).

رهف: وأنا أريد دراجة هوائية.

الأب: سنعرف غدا إذا كان النجم البعيد قد استمع إليكن، أما الآن فقد حان وقت النوم.

ذهبت البنات إلى النوم بعد أن قبلن أباهن، وودعنه متمنيات له رحلة سعيدة. وفي الصباح، استيقظت البنات، وتفاجأن بثلاثة صناديق كبيرة، على كل منها صورة إحداهن، ففتحت كل منهن صندوقها لتجد فيه ما تمنته في الليلة السابقة.

تعودت البنات أن يتحدثن إلى ذلك النجم البعيد، ويخبرنه بكل ما يحدث لهن في حياتهن، ويفضين إليه بأسرارهن، وهن واثقات أنه يستمع إليهن، وقبل النوم يطلبن من ذلك النجم البعيد أن يعود.

حلا: أيها النجم البعيد، لم أستطع أن أتعلم العزف على البيانو.

النجم البعيد: لا تيأسي يا ابنتي، عليك أن تحاولي مرة بعد أخرى، وستجيدين العزف يوما ما.

سلاف: لقد استعملت المكياج لأبدو أجمل لكني أشعر أن هناك ما ينقصني.

النجم البعيد: إن الجمال يزداد بحبك للآخرين، وفعلك للخير، وقولك للصدق، وسماعك كلام الوالدين يا ابنتي الجميلة.

رهف: أنا خائفة من ركوب الدراجة أيها النجم البعيد.

النجم البعيد: الخوف يزول بالمحاولة، اطلبي من أمك أن تمسك الدراجة أثناء قيادتك لها، وشيئا فشيئا ستتعودين عليها يا حبيبتي.

وفي ليلة من الليالي، خرجت البنات كعادتهن إلى الحديقة، ونظرن إلى السماء، ويا للدهشة، لقد كان (النجم البعيد) و(النجمة الخجولة) و(النجمة الجميلة)، و(النجمة المشاغبة)، قريبات جدا من بعضهن.

رن جرس الباب، وهرعت البنات ليفتحن الباب هاتفات: بابا بابا، وفتحن الباب، ليجدن أباهن. عانقنه بسعادة بالغة، قائلات في صوت واحد: "لقد أخبرتنا النجوم بعودتك يا أبي".

(١٤)

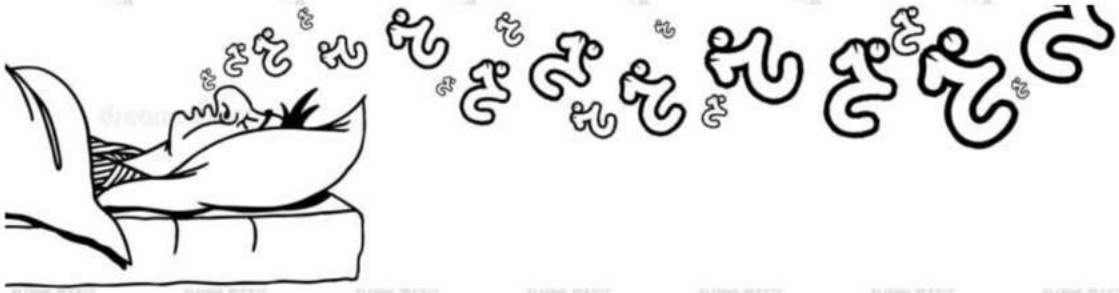

شخير

لم يُشفَ بعد من ألم انفصاله عن زوجته، التي أصرت على موقفها رغم أنه أرسل الوساطة إثر الوساطة بلا فائدة، إلا أن ما حيَّرَهُ ولم يجد له تبريراً مقنعاً، هو السبب الذي طلبت منه الطلاق لأجله، "الشخير"!

هو يعرف يقيناً أن هذا ليس السبب الحقيقي، وأنها اتخذت من هذا السبب السخيف عذراً، ولعلها فكرت في هذا السبب بعد أن شاهدا معاً فيلم (محامي خلع) الأسبوع الماضي، والذي تطلب فيه امرأة الخلع لأن زوجها "بيشخر"، ابتسم وهو يتذكر المحامي في الفيلم وهو يقول محتجاً: "قال بيشخر قال؟! ما كل الناس بتشخر.. ده مش بعيد القاضي يلي هينظر القضية يكون بيشخر".

لا يمكن للسبب أن يكون "الشخير"، كما لا يمكن أن يكون أحد الأسباب الأخرى التي ناقشها الفيلم، سواء أنه "ما بيعرفش"، أو أن هنالك "فرق سرعات"، وإن كان هذان السببان أول ما خطر في بال معارفهما كتفسير لكتمان زوجته السبب الحقيقي. هل عرفت الحقيقة؟ إنها كارثة لو كان الأمر كذلك.

لا بد أن الأمر كذلك، لأنها كانت في الفترة الأخيرة غريبة الأطوار، كانت خائفة، مذعورة، وآثار السهر بادية على وجهها، وفي ملامحها، هل عرفت؟!

لقد أخفى الأمر بشكل كامل عنها طيلة سنوات زواجهما العشرين، فهل اكتشفت الأمر بشكلٍ أو بآخر، لا بد أنه أهمل أمراً ما كشف أمره، وفضح سره، وليس لديه –إذا صح توقعه- إلا أن يقتلها.

يا لغباء النساء، ما كان عليها أن تعرف، ألا يكفيها أن تستمتع بالثروة الطائلة التي جناها من تهريب المخدرات، كان عليها أن تتغابى حتى لو عرفت الحقيقة، لقد فتحت صندوق الشرور (باندورا)، وعليها أن تتحمل النتائج.

غداً صباحاً سوف يصدر أوامره لرجاله أن يتخلصوا منها، لكنه الآن بحاجة إلى الراحتين، الراحة الجسدية بالنوم، والراحة المعنوية بالإجابة على سؤال هام، "هل يشخر في نومه؟".

ذهب إلى المكتب، وأخذ المسجل الرقمي، وتأكد من أن الذاكرة كافية للتسجيل لفترة طويلة، ووضع المسجل بجانب سريره ووصله بالشاحن حتى يضمن عدم انطفائه، وخلد إلى النوم.

وفي الصباح، وقبل أن يقوم من سريره، أخذ المسجل بلهفة، واستعرض التسجيل بسرعة، حتى وصل إلى صوت تم تسجيله، يبدو أنها على حق في مسألة الشخير هذه، شغل الصوت لكنه لم يكن شخيراً، لقد كان صوته هو، كان يتحدث بوضوح، لكنه كان يتحدث مع عدة أشخاص.. وكان ما يقوله مخيفاً، وغيرَ طبيعيٍّ، جحظت عيناه من هول ما سمع، وسقط جانباً مفارقاً الحياة، وكُتبت لزوجته النجاة.

(١٥)

غارق في حبره

خنقته الحروف المتجمعة في حنجرته، حاول أن ينفثَهَا على الورق إلا أنه أحس بكفٍّ دون ذراعٍ أو جسد؛ تضغط على حنجرته، كاتمةً أنفاسه.

وقع بين نارين، الاختناق بحروفه التواقة للحرية، أو الاختناق بالقيود المفروضة عليه، فالكاتب في كل عصرٍ، وأوان طير حدوده السماء لا الأقفاص، لا يعيشُ إلا بالكتابة، ويموت إذا توقف عنها.

لكنَّ أفكاره نفسها باتت تخشى طرقَ مواضيعَ معينة لا يجرؤ على البوح بها حتى لنفسه، وكأن حديثه لنفسه قد يسمعه سواه، ربَّاه كيف جعله الذلُّ الذي يعيش فيه جباناً، وكيف جعلته العبودية الفكرية يتردد في الكتابة.

راودته نفسه في أن يكتب ما يجثم فوق صدره على الورق، ثم يمزقه بعد أن ينفّس عنه، إلا أنه ارتجف لمجرد عبور الفكرة في تلافيف عقله، لا يعلم ممن يخاف وهو وحيدٌ في غرفته، ولا يوجد في البيت بأكمله سواه، لكن من قال أن الخوف شيءٌ يخضع للمنطق؟ إن الخوف الذي ينبع من الداخل لا يخضع لأسباب معينة كالخوف القادم من خارج الروح، فهو أشدُّ رعباً، لأن الهروب منه مستحيل، فمهما ابتعد الإنسان عن خوفه لن يستطيع الابتعاد عن نفسه.

لكنه إن لم يكتب ما يجيش في صدره، سيموت مسموماً به، فالأفكار المسجونة في داخل الإنسان تتعفن إذا لم تخرج، والأفكار التي في داخله تعفنت منذ مدة، وإن لم يتخلص منها قضى نحبه بها، إذن سوف يكتب، نعم، سوف يكتب ولو كلفه ذلك حياته، فعدم الكتابة موت محقق، والكتابة موت محتمل، والموت صمتاً أشدُّ وأقسى من الموت بالكلام، سيكتب، سيكتب، سيكتب.

أخذ قلمه الذي تجمد حبره داخله، ونظف مجراه، وأخرج علبتي الحبر السائل، كانت إحداهما زرقاء والأخرى سوداء، اختار أن يملأ القلم بالحبر الأزرق، فهو لون السماء التي سيجعلها حداً لحريته، ولون البحر الذي ستبحر فيه أفكاره، وبعد أن ملأ القلم جلس على كرسيه أمام المكتب الذي ضمه بشوق وحنين، سحب ورقة بيضاء لم تعد كذلك بفعل الغبار

المتراكم عليها، وضعها أمامه بعد أن نفض عنها الغبار، ابتسم براحة لأول مرة منذ زمن، وهو يخط كلمته الأولى.

تأمل الكلمة. لماذا يراها بلونٍ أحمر؟! أدرك في جزء من الثانية أن ذلك ليس حبر قلمه الأزرق، قبل أن يتحول كل ما حوله إلى سواد قاتم.

(١٦)

إلا (مختار)

"يجب عزله وإبقاؤه تحت الرقابة الصحية، ومع تقدُّمِه الكبير في العمر، وإصابته بالسكر منذ عقود، لا أظنه سينجو".

قالها الطبيب ومضى، تاركاً (أنور) يراقب أخاه (مختار) من وراء الزجاج العازل وهو يرقد في غرفة العناية، والمحاليل موصولة بوريده، وجهاز التنفس يؤدي عمله.

سالت دمعة من عينه وهو يفكر في إمكانية فقده، إنَّ أصعب الفقد هو الذي يتيح لك حرية التفكير فيه، وأسهله ما جاء فجأةً، تذكَّر مرح (مختار)، وخفة دمه، تذكَّر آلامه ووجعه وقد عانى من الحياة كثيراً، نظر إليه طويلاً، ثم مسح دمعته وغادر غرفة العناية.

تلقَّفَه عند خروجه مجموعة من أصدقاء (مختار) وأقربائه، سألوه بلهفة عنه، وعن حالته، فردَّ عليهم بأنه بين يدي الله الرحيم، بين الحياة والموت، ولن ينفعه إلا الدعاء له بالسلامة.

بكت (سماء) بحرقة، وتوجهت عيون الجميع إليها في تساؤل، فالمتواجدون جميعاً يعرفون بعضهم البعض بحكم قربهم أو صداقتهم بـ(مختار)، أما هي فلم يكن أحدٌ يعرفها.

كانت (سماء) زميلة (مختار) في العمل، وكانت تعشقه بشدة، إلا أن (مختار) بعد انفصاله عن زوجته، كان شديد التحفُّظ في علاقاته مع النساء، وكان يعاملها بكلّ احترام، ولم يحاول أن يتجاوز حدوده معها، كما فعل معظم موظفي الشركة.

في يومٍ من الأيام، طلب منها المدير تقريراً مهماً، وأمهلها حتى نهاية الدوام لإنجازه، عادت إلى مكتبها وهي مهمومة، وحزينة، لم يلتفت لها أحدٌ من زملائها، إلا (مختار) الذي جلس أمام مكتبها، ونظر إلى عينيها قائلاً بحزم:

- لن تستطيعي إنجاز شيءٍ وأنت مشوَّشة الذهن بهذا الشكل.
- لكن المدير طلب مني التقرير قبل نهاية الدوام، ولا أعرف كيف يمكنني تحقيق ذلك.

- اهدأي، سوف أساعدك في إعداده.

ابتسمت، وبدأت في تجهيز التقرير، وساعدها (مختار) في ذلك، وبالفعل كان التقرير جاهزاً مع نهاية الدوام، وقدمته لمديرها الذي أمر لها بمكافأةٍ كانت في أشدّ الحاجة إليها.

لم يقبل (مختار) اقتسام المكافأة معها رغم إصرارها، وبعد عدة محاولاتٍ منها، قال لها بهدوء:

- اشتري بما تعتبرينه نصيبي شيئاً لوالدتك وسلمي عليها بالنيابة عني.

لم يحاول أن يستغلَّ مساعدته لها، لا مادياً ولا معنوياً، في أحد الأيام قام زميلها (سعد)، بالتغطية عليها حين اضطرت للخروج مبكراً من العمل، وفي اليوم الثاني دعاها ليشربا فنجانين من القهوة في المقهى القريب منهم، لم يفعل ما يمكن مقارنته بما قدّمه لها (مختار) من مساعدة، ومع ذلك رأى أن من حقِّه أن يأخذ المقابل بالخروج معها! هكذا يفكِّرُ الرجال، كلُّ الرجال إلا (مختار).

وفي هذه الأثناء كان (ياسين) صديق (مختار)، قد خرج إلى خارج المستشفى ليفرغ حزنه، وانفعالاته، في نفخ دخان سيجارته، وأخذ يتأمل جذوة السيجارة ويعود بتفكيره إلى الوراء، إلى بداية معرفته بـ(مختار) قبل ثمان سنواتٍ، عندما مرَّ بأزمة مالية شديدة، وتخلى عنه أصدقاؤه

المقربون، وكانت معرفته بـ(مختار) حينها عادية جداً، وعلى الرغم من هذا فقد وقف معه، وأدانه المال الكافي ليتجاوز أزمته، ففي وقت الضيق يتخلى عنك الأصدقاء إلا (مختار).

عاد (ياسين) ليجد الطبيب مجتمعاً أمام غرفة العناية شارحاً لأهل وأصدقاء (مختار) أنَّ حالته قد تحسَّنت كثيراً، وسيتم إخراجه غداً من العناية المركزة إلى غرفة عادية، مبدياً استغرابه الشديد، فعادة لا يتحسَّن من وصلوا إلى هذه الحالة من المرضى... إلا (مختار).

(١٧)

منحوس

كان (محظوظ) منحوساً بشكلٍ لا يصدّقه عقل، ولا يمكن أن يبتدعه خيال، ولد في ٢٩ فبراير، وهو يومٌ لا يأتي إلا كل أربع سنواتٍ عندما تكون السنة كبيسة.

يوم مولده، احترق منزلهم، ومات أبوه وتشوّهت أمه، وأصيب أخوه الأكبر بالسكر من الخوف الناتج عن الحريق.

عاش يتيم الأب، وكافحت أمه كي تحصل من المال على ما يصل إلى حدِّ الكفاف، لم يترك مرضاً من أمراض الطفولة لم يُصَب به، ولم يكن في جسمه "موضع شبر" إلا وفيه كسرٌ بحادث، أو جرحٌ بسكين، أو حرقٌ بنار.

في فترة مراهقته، الفترة التي يعشق فيها المراهق (المانيكان) التي تعرض فستاناً في (الفترينة)، أحبّ (صفاء) فسافرت، وعشق (عتاب) فتزوجت، وأُغرم بـ(نوال) فانتحرت، لم تدم له علاقة، ولا عاش له حبّ.

التحق بكلية الإعلام قسم صحافة، ومن الطبيعي مع شخصٍ مثله أن أسئلة الامتحانات كانت تأتي من الأجزاء التي يستثنيها في مراجعته، لكنه استطاع أن يتخرج من الجامعة ولو بصعوبة.

بعد تخرّجه عمل صحفيّاً في مؤسسة إعلامية كبيرة، ترقّى زملاؤه إلا هو، سافروا جميعاً إلا هو، كان يحمل على عاتقه من العمل الكثير، ولا يحصل إلا على الأجر القليل.

التقى يوماً بصديق عمره (عمر)، الذي بادره بالسؤال:

- أما زلت منحوساً كما عهدتك؟
- بل وأكثر!
- هذا هو صديقي الذي أعرفه. أريد أن أطرح عليك رأياً أعرف أنك سترفضه بشدّة، إلا أنك لن تخسر إذا جربته إلا القليل من المال على أكثر تقدير.
- أقلقتني. ما الذي تريد قوله.
- لماذا لا تزور (الشيخ مبروك) فقد تجد لديه حلاً لمشكلتك.

- تبّاً لك، وهل درست في الجامعة حتى ألجأ للدجالين والمشعوذين؟!
- جرِّب. ماذا ستخسر؟ إن الغريق يتعلّق بقشة، ثمّ إن ما نحاول أن نصلحه شيءٌ لا يمتُّ للعلم بصلة، هل ستذهب إلى الصيدلية لتشتريَ كبسولة تغيير الحظ؟

وأثناء احتدام النقاش بينهما، ورد اتصال لـ(محظوظ) من موظف دار النشر التي ستطبع روايته "يوميات منحوس"، والتي يعوّل عليها كثيراً في القفز به إلى مصاف الشهرة. أخبره الموظف بصوت راجف أن المطبعة الملحقة بدار النشر قد احترقت. كاد أن يجنَّ، ما هذا الحظّ السيء، ما هذا النحس المُطبق، لا مناص من أن يجرّب زيارة (الشيخ مبروك). نظر إلى صديقه بحزنٍ، وقال:

- لا بأس. لكن ليبقَ هذا الأمر بيننا، ولا داعي لأن يعرف به أحد.
- كنت أراهن على أنك ستوافق لذلك فقد حددت معه موعداً مساء اليوم.

في المساء، عرَّج عليه (عمر) بسيارته ليذهبا معاً إلى (الشيخ مبروك). كان يقطن في مكانٍ موحشٍ أعلى الجبل المطلّ على المدينة، لا تحيط به أي مبانٍ. أوقفا السيارة بالقرب من البيت، وبالضغط على جرس

الباب، فتحت لهما امرأة حسناء، وسألتهما عن مرادهما، أخبراها أن هناك موعداً باسم (محظوظ) فسمحت لهما بالدخول.

تفاجأ (محظوظ) حين دخل فوجد مكتباً أنيقاً، جلست عليه الحسناء، لتتصل بـ(الشيخ مبروك)، وتبلغه بقدومه، قامت بعدها لتتقدمهما في السير نحو غرفة في أقصى الممر، ما أن دخلاها حتى زاد ذهولهما.

وجدا غرفة واسعة أنيقة تحتوي مكتباً صغيراً، وجهاز كمبيوتر، وصالوناً في طرف الغرفة، وكان (الشيخ مبروك) رجلاً علا الشيب رأسه، ويرتدي ملابس أنيقة، دعاهما للجلوس في الصالون، وطلب من سكرتيرته الحسناء أن تحضر لهم ثلاثة أكواب من العصير.

طلب بعدها من (محظوظ)، أن يخبره عن مشكلته، وعندما عرف أنه يريد أن يغيّر حظه، دعاه إلى أن يحكي له قصته، والنحس الذي مرَّ به منذ طفولته حتى الآن، وبالفعل، على مدار ساعةٍ كاملة، قام بشرح تفاصيل حياته حتى انتهى، فشبك (الشيخ مبروك) يديه، ووضعهما تحت ذقنه، وقال:

- اسمع يا بني، إن مصطلحات "حظّ يفلق الصخر"، و"نحس"، وما إلى هنالك، ليست إلا وهماً، إذا عشش في عقل الإنسان سيطرَ على تصرّفاته، وما يجري للإنسان في حياته من أحداث ليست إلا كأساً فيه شيءٌ من الماء، فالبعض يراه

نصف فارغٍ، والبعض يراه نصف مليء، حسب ما توحي به إليه نفسه، وما يسمى "الحظ بحسَنِهِ وسيِّئِه" هو أمرٌ نسبي يختلف من شخص إلى آخر، فحسب ما ذكرت لي من تفاصيل حياتك، فهناك الكثير من الحظ الجيد.

- تبّاً، كل ما ذكرته لك لم يقنعك أنني منحوس.
- صبراً، يا بني، ولا تقاطعني، دعني أكمل كلامي. رغم كل الحوادث والأمراض التي أصابتك إلا أنك لا تزال حياً، ورغم ما تعتبره حظاً سيئاً في الحب إلا أن الحياة لا زالت في بدايتها معك، وحظّك السيء –كما تقول- في العمل ينظر إليه الكثير من العاطلين بنظرة حسد. فاشكر الله يا بني على نعمه، وارضَ بما قسمه الله لك، وتصالح مع نفسك بدلاً من اتهامها بالنحس.
- هل أتينا لزيارة ساحرٍ أم داعية؟! إذا لم يكن ما بي نحسٌ، فما النحس إذن؟
- النحس شمّاعةٌ نعلّق عليه مبررات عجزنا، وفشلنا، وعدم قدرتنا على تحقيق ما نصبو إليه. لا أنكر بالطبع أن هناك نحساً بالمطلق، لكنه ليس مبرراً لنرمي كلّ ما يحلّ بنا عليه، هل تعرف القاعدة التي أطلقها "ستيفن كوفي"؟

- وهل تعرف "ستيفن كوفي"؟
- بالطبع. دع عنك الصورة النمطية للمنجمين والسحرة، الذين صورتهم السينما والروايات بشكلٍ ساخر، فأنا خريج جامعة وأجيد الإنجليزية والفرنسية، لنعد إلى ما كنت أقوله، لقد وضع ستيفن كوفي قاعدة رائعة، لو فهمتها بالشكل الصحيح ستُحَلّ كل مشاكلك، يقول فيها: "١٠% من الحياة تتشكّل من خلال ما يحدث لنا، و٩٠% من الحياة يتم تحديدها من خلال ردود أفعالنا".
- ما هذا يا عمر؟! هل أتينا لمدرب تنمية بشرية، أم لداعيةٍ، أم لساحرٍ يحلّ مشاكلي؟

ردّ الشيخ بحزم:

- بل ساحر، لكني كنت أحاول قدر الإمكان أن أجنّبَك استعمال السحر، أما وقد أردته فخذ هذه الكبسولة وابلعها.
- هل ستجعل هذه الكبسولة حظّي حسناً؟
- لا يوجد شيءٌ كهذا.
- إذن ما تأثيرها؟

- إن هذه الكبسولة ستعكس دوران عجلة الحظ، فتغير حظّك إلى العكس.

ابتلع (محظوظ) الكبسولة فوراً، قائلاً:

- إذن فهي تفي بالغرض، فأنا منحوسٌ ولو رأيت العكس.

وخرجا من عند (الشيخ مبروك)، وما إن وصلا إلى حيث أوقف (عمر) سيارته حتى رنّ هاتف (محظوظ)، كان الاتصال من المطبعة التي احترقت، يخبرونه فيها أن كل الكتب في المطبعة احترقت ما عدا روايته التي كانت في تلك اللحظة في قسم التغليف.

شكر الموظف، وأغلق الهاتف، وشرع بالرقص في الشارع، والصراخ:

- لم أعد منحوساً، لم أعد منحوساً.

ضحك صديقه بدوره، وقال:

- لا تحكم على حظك من خلال حادثة واحدة، اصبر.
- لا أعلم لماذا أشعر أن حظي قد تغيّر فعلاً.
- أتمنى ذلك. عموماً الأيام ستبين ذلك.

وفي اليوم التالي، ذهب إلى عمله، وجلس على مكتبه يباشر أعماله المعتادة، وأثناء ذلك، جاءت إليه زميلته (ليلى) تسأله عن أمرٍ يتعلق

بالعمل. لا يعلم لماذا راوده شعورٌ دائم أنها تحاول التقرب إليه، ولا تترك فرصة تمر دون أن تسأله عن أمر يتعلق بالعمل، أو حتى تستشيره في شأن خاص، نظر إليها وقرر أن يجرب مفعول كبسولة الحظ، فقال:

- (ليلى)، هل يمكننا أن نتناول الغداء سويّاً بعد العمل.

احمرّ وجهها، وأجابت بخجل، وهي تغادر الغرفة على عجل:

- بالتأكيد.

قفز قلبه من السعادة حتى كاد يغادر قفصه الصدري، لا شكّ أن الكبسولة قد أدّت المطلوب منها على خير وجه، ثم تذكّر كلام صديقه، ليصبر حتى يرى ما الذي ستؤول إليه الأمور.

خلال الأيام التالية، تم نشر روايته الأولى "يوميات منحوس"، التي لاقت رواجاً كبيراً، وحققت نجاحاً باهراً، وجعلت منه في خلال فترة وجيزة، شخصية هامة، تتسابق القنوات التلفزيونية على استضافته، والمنتديات الثقافية على عقد جلسات نقاشية حول روايته.

تغيرت حياته كثيراً، ليصبحَ اسماً على مسمّى، وقام بخطبة (ليلى)، وترقى في عمله، وذاع صيته كروائي مبدع، وبدأ يجني ثمار حظّه الذي تغير.

حدّد موعد عرسه، يوم الخميس ٥ ديسمبر ٢٠١٩، وقدّم له مديره في العمل فرصة ذهبية –لم يكن ليحصل عليها بحظه السابق- أن يغطي فعاليات المؤتمر الصحفي للمنتدى العالمي العشرين للسياحة الثقافية الصينية، الذي سيعقد يوم الثلاثاء ١٠ ديسمبر، ليقضي هناك شهراً كاملاً على حساب الصحيفة.

زفّ (محظوظ) خبر حصولهم على "شهر عسل" مجاني لـ(ليلى)، ورتبا أمورهما على أن يسافرا بعد العرس مباشرة ليتمّا المهمة، ثم يقضيان ما تبقى من الوقت في إجازة، وتمّت الأمور على خير ما يرام، وغطى المؤتمر بنجاح، وكانت فترة الشهر التي قضياها في الصين شهر عسلٍ حقيقي، وفكّر في سرّه أن هذه السفرية قد عوضته عن كل السفريات التي حصل عليها زملاء عمله من قبل.

انتهى الشهر وجهّز الزوجان نفسيهما للرحيل، ورغم الإرهاق البادي على وجهه، والتعب الذي حرمه النوم في الليلة السابقة، إلا أنه قاوم تعبه، وقال لـ(ليلى):

- لا بأس، سأنام في الطائرة فالرحلة طويلة، وحين نصل سأرى طبيباً.

وفي المطار اشتد به التعب، مما استدعى موظفي أمن المطار لاستدعاء طبيب لفحصه، كان يتابع حديثهم بالصينية ولا يفهم ماذا يقولون، لم يفهم إلا كلمة واحدة كانت كافية ليصيبه الفزع "كورونا"، وأدرك أنه لن ينجو هذه المرة، فحظّه قد تغيّر.

(١٨)

جوع

خرجت تبحث عن رزقها في الشوارع، عادة ما تجمع القوارير البلاستيكية لتبيعها، وتجمع مبلغاً لا يكاد يكفي لشراء طعامٍ لأولادها، إلا أنَّ جيرانها في الحيِّ اعتادوا أن يساعدوها بشيء من المال تستطيع بإضافته إلى ما جمعته أن تشتري به ما يكفي أولادها، أو أن يعطيها أولاد الحلال من الطعام ما يسدُّ رمقهم.

كان اليوم مختلفاً عن بقية الأيام، الشوارع تكاد تكون مهجورة، ومعظم المحلات مقفلة، حتى القمامة التي اعتادت أن تجمع منها عبوات البلاستيك كادت تكون معدومة.

الصمت يعمُّ الأرجاء، ويلقي بظلالِه على كلِّ شيءٍ، ويطبق على صدرها، تعوَّدت من قبل أن يطبقَ الظلامُ على صدرها، أو الضجيج، أو الهمَّ، أو

الحزن، إلا أن كلَّ هذا لا يقارن بما يفعله الصمت حين يطبق على صدرك.

ما الذي حدث؟! هل قامت القيامة؟ هل اندلعت حرب عالمية؟ هل انقرضت البشرية؟ لا زال هناك من يخرج بين الحين والآخر، قطعت الطريق على أحدهم وهو يلبس كمامة على وجهه، وقفازاً في يديه، تسأله عمَّا حصل، أجابها بكلمة مقتضبة: "كورونا".

"كورونا"، لم تفهم ما تعنيه الكلمة، فاستفسرت منه عنها، فشرح لها على عجلٍ أن هذا ڤيروس ينقلُ مرضاً، وينتشر بسرعة مخيفة، وقد قررت الدولة أن تفرض حظر التجول للتخفيف من انتشار المرض.

مرضٌ؟! إن الناس يعانون دائماً من الأمراض، أنفلونزا، حمّى، ربو، التهابات، ضغط، سكري، صرع، سرطان، ملاريا، طاعون، سمعت عن أمراضٍ كثيرة، وخطيرة، لكنَّها لم تَرَ أبداً مرضاً يجعل الناس تختفي بهذا الشكل المرعب من الشوارع، لم تَرَ من قبل مرضاً له هذه الرهبة التي خلَّفها في نفسها وهي ترى الشوارع مهجورة بهذا الشكل المرعب.

نظرت إلى المحلات المقفلة، المطعم الذي تعود صاحبه بين الحين والآخر أن يعطيها منه ما يكفيها وأولادها، ومحل الفاكهة الذي كان صاحبه يجود لها بشيء من الفاكهة أحياناً، والبقّال الذي يحسن إليها بإعطائها بعض الدقيق والزيت، والصيدلية التي تعوَّد صاحبها بلعب

دور الطبيب إذا مرضت هي أو أيٌّ من أولادها الخمسة، ويصرف لها العلاج المناسب.

نظرت حولها فلم تجد من يعينها. عادت بخطوات متثاقلة إلى بيتها، وأقفلت الباب عليها وعلى أطفالها الخمسة.

جلست في زاوية البيت، نظرت إلى أولادها الجوعى. من أين ستأتيهم بالطعام؟ كيف ستسكت جوعهم؟ كيف ستشرح لهم أن هذا المرض "الكو.."، ماذا قال لها الرجل اسمه؟ لم تعد تتذكَّر. مهما بلغ أي مرض من القساوة، والبشاعة، لن يكون أبداً بقسوة وبشاعة الجوع الذي لا يمكن أن تنسى اسمه.

الجوع.. ذلك المرض الذي يقتل بصمت، الذي يقف على رأس ضحيته واثقاً، لا تقضي عليه لقاحات الدنيا، ولا علاج له إلا الإنسانية. الإنسانية التي في ما يبدو قضى عليها هذا المرض الجديد في ما قضى، وانتزعها من القلوب بقسوة، تاركاً الفقراء من أمثالها، فريسة سهلة للجوع.

لا بدَّ أن المرض الجديد حليفٌ للجوع، يسهِّل له القضاء على ضحاياه، يعزلهم عن المحسنين الذين يحمونهم من الوقوع فريسة له، يعملان مع بعضهما، ويقومان بـ(شغل العصابات)، لقد رأت مرَّةً في السوق، رجلاً وامرأة يعملان مع بعضهما، المرأة تصرخ في السوق مدَّعية أنَّها تعرَّضت

للتحرِّش، ليتجمَّع الناس حولها تاركة الفرصة لشريكها كي يسرق ما طالته يده مستغلاً انشغال الناس. لا بدَّ أنَّ هذا المرض الجديد يلعب دور المرأة في السوق، ليتيح للجوع فرصة الاستفراد بضحاياه من الفقراء والمساكين.

غامت الدنيا أمام عينيها، وتشوَّشت الرؤية، بينم اثنان من أبنائها يسحبون ثوبها والدموع تغرق وجهيهما، داعينها كي تقوم لتعطيهم ما يأكلانه، لم تستطع من تعبها، وإرهاقها، وحزنها أن تقوم، بل سقطت على الأرض، وأصوات أطفالها تختفي بالتدريج، حتى تحوَّل إلى صمتٍ يشابه صمت الشارع خارج البيت.

مرَّت أيامٌ قبل أن تعلن السلطات موت ٦ أشخاص بسبب "الكورونا".

(١٩)

جمهورية أفلاطون

- "وجدنا أخيراً اللقاح الخاص بڤيروس كورونا covid20"، قالها (ديل) بانفعالٍ واضحٍ وهو يدخل على الرئيس الأمريكي في المكتب البيضاوي.

- إنها المرة الأولى التي تدخل بها عليَّ بخبرٍ سارٍّ منذ بدء هذه الأزمة، هات التفاصيل.

- لقد استطاع الخبراء أن يكتشفوا لقاحاً يقي من الإصابة بڤيروس كورونا، لكن..

- أكمل يا وجه الغراب، إن كلَّ مشكلة تبدأ بلكن.

- لا يمكن أن ننتج الكميات الكافية من اللقاح، حتى لو استعنا بمعامل الأوروبيين، والروس، والصينيين.

- أعطني أرقاماً، أنا رجل أعمالٍ قبل أن أكون رئيساً، ولا أؤمن إلا بالأرقام.

- في أحسن الأحوال، ولو عملت كلُّ معامل العالم بطاقتها القصوى لن نستطيع أن ننتج ما يكفي ثلث سكان العالم، وسيفتك الڤيروس بالثلثين الباقيين.

قام الرئيس من مكتبه، وتوجه إلى النافذة المطلة على حديقة البيت الأبيض، وأمضى دقيقتين وهو يفكر في صمت، ثم التفت إلى (ديل)، وقال له:

- هل قرأت رواية (الجحيم inferno) لـ(دان براون)؟

- لم أكن قد قرأتها قبل تفشي وباء الكورونا، لكن حديث الناس عنها، وإشارتهم لها جعلني أفعل.

- لقد نشرها (دان براون) في ٢٠١٣، وحذر فيها من العدد الذي يزداد يوماً بعد يومٍ لسكان هذا الكوكب، وكانت الشخصية الأبرز في الرواية (برتراند زوبريست) شخصية محيرة، فلا يمكنك أن تطلق عليها وصف شخصية "شريرة"، فالأشرار لا يضحون بأنفسهم في سبيل ما يؤمنون به، لقد كان واقعياً، ورأى أن الموارد على الكوكب بدأت تشحّ، ولم تعد كافية، لقد تطلب من البشرية أكثر من مئة ألف عام لتصل إلى مليار شخص يعيشون على سطح الكوكب، ومائة عامٍ بعدها

ليصبحوا مليارين، و٥٠ عاماً فقط ليصبحوا أربعة مليارات، إنّ هذا التسارع الأسّيّ مرعبٌ جداً.

- إنّ هذا التسارع هو ما رأيناه في covid19، فأول ١٠٠ ألف إصابة تمت في ٦٧ يوماً، والمئة ألف التي تلتها في ١١ يوماً فقط، أما المئة ألف الثالثة فلم تستغرق إلا أربعة أيام، أما النسخة الجديدة من الڤيروس covid20 التي تم اكتشافها قبل أسبوعين فهي أكثر انتشاراً، ونسبة الوفيات مرتفعة نسبياً.

بدا أن الرئيس لم يسمعه، وهو يتابع قائلاً:

- في الحرب العالمية الثانية، قام (هتلر) بالتوقيع على قرار ببدء تنفيذ برنامج إبادة المعاقين في أغسطس ١٩٤٠م، فقد كان يرى أن المعاقين ذهنياً، وجسدياً، والمرضى، يعيقون تقدم ألمانيا، ويشوّهون صفاء الجنس الآري. وعلى الرغم من أن كل قادة العالم المتقدم لا يذكرون اسم (هتلر) إلا مسبوقاً بكمٍّ هائلٍ من اللعنات خوفاً من أن ينالهم "قانون تعقب معاداة السامية عالمياً"، إلا أنَّ معظمهم يكنّون له احتراماً، ويتمنون أن يطبّقوا على بلدانهم ما أراده هو لألمانيا النازية.

- لكنَّه اتّبع أساليبَ لا أخلاقية لتنفيذ أفكاره.

نظر إليه بغضب، وأشار إلى الكرسي الذي كان جالساً عليه، وصرخ في وجهه:

- لا تحدثني عن الأخلاق. عندما تجلس على هذا الكرسيّ، عليك أن تضع أخلاقك جانباً، لا يمكنك أن تجمع السلطة والأخلاق، فالسلطة تفرض عليك أن تتخذ قراراتٍ سيشيب لهولها شعر رأسك لو قرأت ما فيها.

نظر إليه (ديل) متردداً، ثمَّ استجمع شجاعته، وقال:

- هل معنى هذا، أنَّنا وراء انتشار هذا الڤيروس؟

ابتسم الرئيس بسخرية، وأجاب صادقاً:

- لست متأكداً من ذلك. نعم، أنا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، لكن ما يجري في الغرف المغلقة لوكالة المخابرات المركزية لا يعرف عنه حتى الرئيس، إلا بمقدار ما تحتّمه الظروف، لكنَّ الأهمَّ من معرفة مَن وراء انتشاره، هو الاستفادة من انتشاره.

- وهل يمكن الاستفادة من انتشار هذا الرعب؟

- تخيّل معي لو أتيحت لك الفرصة كرئيس أكبر دولة في العالم أن تعيد تشكيل هذا العالم، الذي صار سكانه عبئاً عليه، وانقسم إلى فئاتٍ ثلاث: فئة منتجة، وفئة مستهلكة، وفئة معاقة.

- فئة معاقة؟!

- نعم، لا أقصد الإعاقة الجسدية بالطبع، بل اقصد فئةً تشغلُ حيزاً من هذا العالم، وتشكّلُ عبئاً عليه، ولا تملك المال الكافي لنعتبرها من الفئة المستهلكة، التي تستهلك بما لديها من المال ما تنتجه الفئة المنتجة.

- فهمت.

- وفي نفس الوقت، تخيّل معي لو استطعت أن تزيح جزءاً كبيراً من الفئة المستهلكة، وأن تسيطر على منابع ثرواتهم، لتدعم بها الفئة المنتجة، ألن يكون هذا في مصلحة العالم؟

- بالتأكيد سيدي الرئيس، وأفهم ما ترمي إليه، لكننا التزمنا حين بدأنا في أبحاثنا لتصنيع لقاحٍ للڤيروس أن يكون متاحاً للعالمِ كلِّه، وبناءً على هذا الالتزام، بعثت الكثير من الدول علماءها إلينا، وشاركتنا معلوماتها عن الڤيروس، وأبحاثها المتعلقة به، والتزمت دولٌ كثيرة بدفع مليارات الدولارات لتمويل الأبحاث، وتصنيع اللقاح، وإنتاجه، ولا يمكننا أن نخص فئة دون الأخرى بأخذ اللقاح.

- وكيف ستتغلب على مشكلة نقص اللقاحات التي لن تكفي ثلث سكان العالم كما تقول؟

- لقد وضع الخبراء حلولاً، سأطرحها عليك لتقرِّرَ اللازم.

- هات ما لديك من الاقتراحات.

- الاقتراح الأول، أن يتم اختيار الذين سيحصلون على اللقاح بالقرعة.

- هذا ما حدث في فيلم Contagion الذي أنتج في عام ٢٠١٢م. أكمل.

- الاقتراح الثاني، أن يباع اللقاح بمبلغٍ كبير من المال.

- امم.. الغني يستحق الحياة، والفقير يموت، إن هذا الاقتراح سيؤدي إلى ثورة عارمة لن ينجو منها أحد. أكمل.

- الاقتراح الثالث، أن يُعطى اللقاح لصغار السنِّ.

- لينشأ جيلٌ جديد من الصغار عديمي الخبرة، وتقضي على الملايين من أصحاب الخبرات؟

- الاقتراح الرابع والأخير، أن يتم توزيع حصة كل دولة من اللقاح لحكومتها، التي توزعه بما تراه مناسباً.

- وهل تريد أن تساويَ دولاً لا يأبه أحدٌ لها إذا اختفت من الخريطة بأمريكا؟!

- كما قلت لك سابقاً سيدي الرئيس، نحن ملتزمون أمام العالم أجمع بتوزيعه.

- وسوف نفعل ذلك بالتأكيد، من دون أن يأخذوا حصة كبيرة.

- وكيف ذلك سيدي الرئيس؟

- سأقول لك ما الذي يتوجب عليك فعله يا (ديل). أولاً سنمضي مع الاقتراح الرابع، ثانياً عليك أن تتصل بمن يعملون مع وكالة المخابرات المركزية من رجال الدين والعلماء، أريد منك أن تختار شيخاً كبيراً من شيوخ الإسلام، وقسيساً له مصداقيته، وحَبراً من أحبار اليهود، وكاهناً من كهنة الهندوسية، وراهباً من رهبان البوذية، واطلب من كلٍّ منهم أن يروِّج لعلاجاتٍ دينية، كلٌّ حسب معتقداتهم، "حبة سوداء، أعشاب آسيوية، التأمل والنيرفانا، والنبيذ المقدس.. الخ"، وادعموا ما يقولونه إعلامياً. ثم أريد منك أن تتواصل مع بعض العملاء اليساريين ليروجوا لفكرة أن "أمريكا تريد تجريب اللقاح على دول العالم الأخرى لتتجنب مضاره الكثيرة التي قد تؤدي إلى الموت، أو أنها دسّت لهم ما يمكن أن يقتلهم، أو يسيطر على عقولهم"، ولا تنسَ أن تدسَّ مصطلحات "المؤامرة"، و"الماسونية" فإن لها تأثيراً كبيراً على الجهلة، وتجعلهم يصدقون ما لا يمكن تصديقه، بعد هذا يمكننا أن نعطي كلَّ دولةٍ نصيبها من اللقاح.

- حاضر سيدي الرئيس.

وخرج (ديل) لينفِّذَ خطة الرئيس، وهو مستغرب، كيف يأمره الرئيس أن ينزِّل اللقاح لكل دول العالم، بالتأكيد سيتخاطفه الناس.

مرَّ أسبوعٌ كامل، عاد بعده (ديل) إلى الرئيس وهو في قمة الذهول، ليعرض عليه تقرير توزيع اللقاح، الذي أظهر أن الكميات الموزعة على معظم دول العالم وبالذات على دول العالم الثالث، لم يتم استخدامها لاقتناع الكثيرين حول العالم بعدم جدواها مقابل ما يتناولونه من وصفاتٍ شعبية، أو بسبب إيمانهم أن ما يجري ليس إلا كذبة كبيرة قامت بها جهةٌ ما. وقامت المخابرات المركزية الأمريكية عبر سماسرتها في هذه الدول بشراء اللقاحات الفائضة وتقديمها للمواطنين الأمريكيين.

ابتسم الرئيس برضىً وهو يطالع التقرير، والتفت إلى (ديل) قائلاً:

- الآن فقط سوف نعيش في عالمٍ يخلو من الجهلة والأغبياء، فلتنم قرير العين يا (أفلاطون) فاليوم ستتحقق جمهوريتك، ولا تسأل أي أساليب استخدمناها لتحقيق ذلك، فالغاية تبرِّرُ الوسيلة.

(٢٠)

ڤيروس

أخيراً.. نجح (ممتاز) في وضع اللمسات الأخيرة على جهازه الذي سيدفع به إلى مصاف العلماء البارزين الذين يشار إليهم بالبنان.

سيمكِّنه هذا الجهاز من التحدث إلى الڤيروسات، نعم لم تخطئ قراءة العبارة، سوف يتبادل الحديث مع الڤيروس كما يتبادله مع (عبده غدر) في مقهى (مدهش).

لم يؤمن به أحد من معارفه، نصحه البعض بحنوٍّ أن يصرف النظر عن هذا الاختراع، وسخر البعض الآخر منه بشده، واعتبره الباقون مجنوناً.

وها هو قاب قوسين من الإثبات للعالم أجمع أنه لم يكن مجنوناً، ما أغباهم، إن كل الاختراعات التي أحدثت أثراً اتُّهِمَ أصحابها بالجنون، وعوملوا باستنقاص حتى نجحوا، فسارعت نفس الجوقة التي هاجمتهم إلى تهنئتهم، وإعلان إيمانهم بهم منذ اللحظة الأولى!

أكمل وضع اللمسات الأخيرة على الجهاز، ووصله بجهاز الكمبيوتر المحمول، وشغَّل برنامج البحث عن الترددات، كانت عملية مملة تستغرق أكثر من ساعة يقوم فيها البرنامج بتجريب كل الترددات في المجال تحت السمعي حتى يصل إلى التردد الذي يمكن من خلاله سماع صوت الڤيروس.

انتظر بأعصاب مشدودة، وهو يتخيل كيف سيعتذر له أهله، وأصدقاؤه، ومعارفه، كيف ستترجاه (جميلة) أن يعود إليها بعد أن فسخت الخطوبة لأن مستقبله فاشل بالتأكيد، وكيف سيتذلل له مديره في العمل أن يعود إلى مكتبه وألا يخبر أحداً أنه أوقفه عن العمل، وكيفَ سيؤكد له والده أنه لم يتهمه بالفشل إلا ليوقدَ نار العزيمة في داخله، وتخيل نفسه يتسلم وسام الدولة من الدرجة الأولى، والذي سيقوم الرئيس بنفسه بتسليمه له، ويقف بجانبه لأخذ الصور التذكارية والجماهير...

- ما الذي يجعلك واثقاً من نجاحك؟

تلفت حوله وانتبه إلى العبارة التي ظهرت على الكمبيوتر المحمول "تم العثور على تردد فعّال"، لم يصدق عينيه، أصابه مزيج من الذعر، والارتباك، والفرح، والدهشة، وصاح:

- من أنت؟
- كنت واثقاً من أنك تحمل غباء البشر رغم نجاحك في الاتصال بنا.
- بكم؟
- نعم.. بنا معشر الڤيروسات.
- وكيف تفهمون لغتنا.
- من الواضح أن اختراعك كان ضربة حظ، فسؤالك يدل على مستوى ذكاء منخفض للغاية، من قال لك أني أعرف حرفاً من لغتكم، أنا أتواصل معك عن طريق الأفكار، وأنت من تترجمها للغتك.
- لكن.. لقد نجح الجهاز.. لا أصدق ذلك، سأقرص نفسي لأصدق أني لست في حلم.
- حتى أنا لا أصدق أن شخصاً مثلك قد نجح في ذلك، ثم أن الألم في الحلم قد يكون ناتجاً عن مؤثر خارجي –كأن تضرب يدك في شيء صلب- ويتولى عقلك إدخاله إلى الحلم، فلا يمكن أن تعتبر إحساسك بالألم دليلاً أكيداً على أنك صاحٍ.
- سبحان الله، كل هذه المعرفة وأنت لا تُرى بالعين المجردة!

- ولا حتى بالمجهر الضوئي، ثمَّ أنكم لن تتوقفوا يا بني البشر عن ربط كلِّ شيء بالحجم، وأرجو ألا تحمِّلَ كلامي أيَّ معنىً جنسيٍّ، ثم أن معرفتنا متوارثة عبر الأجيال، ووجودنا على هذه الأرض يسبقكم كثيراً، لكننا لسنا مثلكم قليليَّ المعرفة، كثيريَّ الكلام.
- تباً لك. هل حقاً أجري معك حواراً كهذا؟! دعك من كل ما سبق، وقل لي.. لماذا؟
- لماذا ماذا؟!
- لماذا تقضون على جنسنا البشري؟
- أشعر بالإهانة عندما يأتي تساؤل مثل هذا من كائن بشري، إنه أشبه بأن ينعتَك غبيٌّ بالغباء.
- هل تقصد أننا مثلكم؟ نحن نقتل كائنات كي نعيش.
- حقاً؟! لن أتحدث عن الكم الهائل من المواشي، والطيور، والبحريات التي تقتلونها لتأكلوها، لأنك ستبرر ذلك بضرورة البقاء، مع أن بقاءكم ممكن بدون أكلها، لكن ماذا تقول في الثعالب، والببور، والفقمات، والمنك التي تقتلونها من أجل فرائها، والتماسيح، والنمور من أجل جلودها، والـ...، والـ..، إنكم الكائن الوحيد الذي يقتل، ويبرر.

- نحن كبشر نقوم بما يؤمن لنا معيشة كريمة.
- ونحن –الكائنات الأخرى- لا نقوم إلا بما يجعلنا نعيش،
- إذن سنعود للسؤال الأول.. لماذا تقضون علينا؟
- نحن لا نفعل ذلك، نحن فقط نستفيد من خلاياكم، ونحولها لمصانع تنتج المزيد منا، أي أننا فقط نقوم بالتكاثر، لا أكثر ولا أقل.
- ولكنكم بذلك تقتلوننا.
- وأنتم لتعيشوا، وتنعموا بحياة الترف تقتلون العديد من الكائنات الحية.
- لكننا بشر!
- هذا هو بيت القصيد، إنكم ترون لأنفسكم الحق في قتل الكائنات الأخرى. مع أنها "أمم" مثلكم، وستجازى كما تجازون. اقرأ الآية (٣٨) من سورة (الأنعام).
- وهل تحفظ القرآن أيضاً؟!
- بل والتوراة، والإنجيل، وكل ما أنزل من السماء.

قام (ممتاز)، وتناول علبة فيها مصحف لم يُفتح بعد، فأخرجه، وبحث عن سورة (الأنعام) قائلاً:

- نعم ها هي ذي الآية: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ). لكن هل تعني بهذا...

صحا (ممتاز) فجأة على صوتٍ يقول له:

- (ممتاز).. (ممتاز)...
- ماذا؟!
- هل نمت؟

ابتسم، وهو يسترجع حواره مع الڤيروس، ثم قال:

- لا عليك، ماذا تريد؟
- قم لتناول العشاء.
- اسبقني سألحقك.

قام من على الكرسي، ولم يستطع منع نفسه من القهقهة بصوتٍ عالٍ وهو يتذكر الحوار المجنون الذي اتضح لحسن حظه أنه مجرد حلم، بل كابوس حمد الله في سرِّه أنه لم يتجاوز ذلك، وتوجه إلى صالة الطعام، تاركاً مصحفاً مفتوحاً على سورة (الأنعام).

أوس الإرياني

أقفل (طويس) باب غرفته عليه، وعلّق (اليَلَق) الأسود الذي اعتاد أن يرتديَهُ على المشجب الخشبي المصنوع من خشب الأبنوس، ووقف مواجهاً للمرآة الصغيرة متأملاً رأسه الأصلع وسكسوكته المشذّبة بعناية، وفكّرَ في نفسه كيف أنّ جميع أقرانه يتجنّبونه بسبب مظهره الموحي بالشرّ رغم طيبته التي يعرفها عنه أصدقاؤُهُ المقرّبون، طيبته الزائدة التي طالما أوقعته في المشاكل، لكنّ الجميع تعوّد أن يحكم على من يراه من خلال شكله ومظهره لا من خلال تعامله.

في الفترة الأخيرة عانى كثيراً من الوحدة. لم يعد أحدٌ يجالسه، فالجميع مشغولون بأسرهم، وعائلاتهم، وحياتهم الخاصة. تجاوزه قطار الزواج وضيّع فرصته الأخيرة في اللحاق به في محطته الأخيرة فهو لم يستطع أن ينسى حبَّهُ الأول الذي لا يزال محتلاً لقلبه طارداً أي حبيبٍ آخر يحاول أن يحطّ رحاله في قلبه.

لم يَعُدْ لحياته معنىً ولا يظنُّ أنّ رحيله سيزعجُ أحداً، أو أن أحداً سيذرفُ عليه أكثر من دمعتين فرضهما الواجب. فكّر كثيراً في إنهاء حياته بيديه إلا أنه تراجع عن ذلك لا حُبّاً في الحياة، ولا لأسبابٍ دينية تحرّم الانتحار، ولا لخوفه من التجربة، ولكن لسببٍ واحدٍ ظلّ يلحُّ عليه، ماذا سيكون ردّ فعلِ من عرفوه بعد أن يموت؟ ما أثرُ موتِهِ على أصدقائه ومعارفه؟ كيف له أن يعرف إجابات تلك الأسئلة؟

سلاف ميديا
للنشر والانتاج الفني